

المصطلح في الأدب الغربي

الدكتور
ناصر الحاني

منشورات المكتبة العصرية - صيدا - بيروت

المصطلح في الأدب الغربي

منشورات دار المكتبة العصرية - صيدا - بيروت

الدكتور ناصر الحاني

المصطلح في الأدب الغربي

١٩٦٨

المقدمة

لا مراء في أن العرب لم يعرفوا عن أدب اليونان كثيرا ، ولكن تأثير مفكريهم في النقد الأدبـي ولا سيما العباسي واضح جلـي ، فلقـد ترجمـوا كتـاب « فن الشعر » لأرسطوطاليس ، وبدا تأثير النقد اليوناني المباشر بينا في كتـاب « نقد الشعر » لقدامة بن جعفر وفي كتب النقدة الذين أتوا بعده ، وهذا ما لا يختلف فيه المؤرخون .

أما أن العرب قد عرفـوا فلسفة اليونان وطبهم ونقلوا عن هذيـن العلمين خاصة شيئا كثـيرا فهذا من الحقائق المقررة التي لا يعوزها تفصيل أو ايضاح .

ومن الحقائق المعلومة أن العرب قد صفحوا عن آداب الامم الأخرى ولم يعنوا بها عناية تصور رغبة صادقة فيها أو ميلا نحوها . وليس يعنيني سبب هذه الظاهرة وعزوف العرب عن آداب الامم التي جاورتهم واتصلت بهم أيضا كفارس والهند خاصة لأن كثـيرا مـن النقدة حاولوا أن يعللوا هـذه الظاهرة ويبحثوا عـن اسبابها بحثا مسهبا

شاملا ، ولكن يجدر بنا أن تتذكر دوما أن العرب اذ اعتقدوا زمنا طويلا بأن أدبهم قد أغناهم عن آداب الأمم الأخرى ، وان دنياهم تستطيع العيش على نتاج مفكريهم وحدهم ، فان عالم اليوم لا يحتمل أن تنفرد أمة بما عندها من أدب أو علم أو فن أو تسد منافذها دون التيارات الوافدة من الأنحاء البعيدة والقريبة .

فلقد صغرت الأرض وانكمشت دروبها ، وصارت المدارس الأدبية تشرق وتغرب لا نعرف لها قرارا ولا استقرارا . ولقد شرقت اصطلاحات وتعابير أدبية وفدت من الغرب شأنها شأن سيل من الاصطلاحات العلمية والاجتماعية والفلسفية والاقتصادية ، وصرنا نقرأ عن هذه وتتقصى أخبارها وسير أعلامها وتتاجهم الفكري . وتغلغل بعضها بنفوس أدبائنا ، وطبعوا بطابعها وانقسموا طبقات وفرقا تعضد كل منها رأيا أو مدرسة هناك .

ولم يكن العهد بهذه التيارات قريبا ، فلقد شهدتها البلاد العربية منذ القرن الماضي وان تفاوتت زمنا ومدى . فمصر سبقت اليها وتلتها البلاد العربية الأخرى .

ونحن لا ننكر ما أسداه بعض الأعلام بهذا الميدان ، اذ حاولوا أن يعرفوا ببعض المدارس الأدبية الغربية ، وببعض الاصطلاحات الأدبية ، ولكن هذا الذي حاولوه لم يتهيأ له أن يشمل طائفة كبيرة وافية ، فلم نجد كتابا منفردا اختص بها ليكون مرجعا للقارىء العربي أو مدخلا عاما

كما هو شأن كتاب « قصة الأدب في العالم » مثلا الذي عرض لآداب الأمم المختلفة فسد ثغرة في العربية وأسدى مصنفاه الاستاذ المرحوم أحمد أمين والدكتور زكي نجيب محمود خدمة جليلة .

وما دمت قد ذكرت كتاب : قصة الأدب في العالم ، فان الانصاف يدعوني الى أن أذكر محاولة الأستاذ أحمد حسن الزيات قبل أكثر من ثلاثين عاما ، فقد كتب[1] عن الرواية المسرحية والمأساة والملهاة والمأساة العصرية وأنواعها فصولا لا أعرف في العربية ما يدانيها . ولو هيأ الله للأستاذ الزيات ما أسلمه الى اضافة اصطلاحات أدبية أخرى لنفع أدبنا وجيلنا نفعا كبيرا كما نفعتنا « الرسالة » وكتبه القيمة .

ومهما يكن من شيء ما فان بعض الأدباء قد عنوا بتحليل طائفة من الاصطلاحات الأدبية الغربية وخاصة ما يسمى منها مدارس كالرمزية والواقعية والرومنسية وغير هذه ، وراح بعضهم الى تصنيف كتب مستقلة عن فنون الأدب الغربي وصوره كالسيرة والقصة والأقصوصة وغيرها[2] .

---

(١) نشرها بكتابه (في اصول الادب) (الجزء الاول) . مطبعة التأليف والترجمة والنشر عام ١٩٣٥ .

(٢) أشير خاصة الى مجموعة (النقد) التي نشرتها (دار بيروت للطباعة والنشر) .

ونحن لا نشك في أن هــذه المحاولات القيمة حصيلة ما ذكرنا من حاجة أدبنا الى الكشف عما امتلأت به الآداب الغربية من اصطلاحات ، وحاجة شبابنا وجيلنا الــى هذا التراث الغربي الذي تغلغل في الحياة وصار لا غنى عنه .

ولكننا ما زلنا نرى أن أدبنا تعوزه المراجع العامة التي تضم طائفة كبيرة من الاصطلاحات وتشرحها شرحا سليما بعيدا عن الاسهاب الذي يحتمله الكتاب المنفرد أو المقالة الطويلة . وليس هــذا في الأدب وحده بــل في النواحي الفكرية والعلمية كلها . فلقــد سادت بأوربا الموسوعــة Encyclopaedia وصغرت الموسوعات هنــاك وكبرت ، وصار هــذا التفاوت بحجمها عونا عــلى اقتنائها . فليس صعبا أن يجد كل ضالته ، وليس يعنيني هنا أن أذكر بعض هذه الموسوعات العامة لأنها معروفة .

ولقــد تهيأ لبعض فروع المعرفة أن تخص بموسوعات وقفت لها ، ولم تجزها الى ما لا يدخل في نطاقها .

ولعل من أشهر الموسوعات الأدبيــة الصغيرة موسوعة كــاسل للأدب العــالمي(٣) التي تتضمن مجلدين ، وتضم مقالات وافية عن كل مصطلح أدبي غربي وعن آداب الأمم الأخرى ، وأشهر الأعــلام والكتب . ان موسوعة كهذه تكون مرجعا عاما يحفل به تلامذة الأدب وغيرهم .

---

(٣) Cassell's Encyclopaedia

ونجـد أيضا كتبا صغـيرة تسمى (دليـل القارىء) Reader's Guide تغنيه عن الرجـوع الى موسوعة كبيرة لأن الغرض أن يكشف عما غم عليه أو يقف على جوانب عامة عن المصطلح الأدبي أو أدب أمة معينة أو علم معلوم . وقـد أعجبت بكتاب ظهر قبـل مدة في الولايات المتحدة الأميركية ، وأعيد طبعه قبل أعوام بعد أن أضيف اليه شيء كثير ، وعنوانه (معجم الأدب الانكليزي) : دليل مختصر عـلى المؤلفـين والكتب وأزمانهـا ، وصور الشعر والاصطلاحات الأدبية(٤) . لقد ضم هذا الكتاب ثلاثة فصول كبيرة يشمل أولها بعض أعـلام الأدب الانكليزي والثاني منها شيئا عن بعض النتـاج الأدبي ـ بصوره المختلفة ـ الذي انحدر مؤلفوه في طيات النسيان وضاعت أسماؤهم ، وضم الثالث طائفة مـن المصطلحات الأدبية . ورأيت أننا نفتقر الى ما يشبه هذا الدليل فرحت أجاريه وأعرب عنه ، ولكنني حاولت أن أفصل القول عـن كل مـادة لتكون أشمل وأعـم ، واستعنت بالموسوعتـين (الأميركيـة والبريطانية) خاصة و (بموسوعة كاسل الأدبية) وببعض كتب تاريخ الأدب التي عنيت بهذه الدراسة . وتعمدت ألا

---

(٤) A Dictionary of English Literature : A Concise Reader's Guide to Authors, Titles, Chronology, Verse Forms, and Literary Terms, By Homer A. Watt and William W. Watt Barnes and Noble, Inc. New York.

أوغل بتفصيل قــد يسلم الى الاطالة التــي لا يحتملهــا المنهج الذي رسمت ، والغاية التي توخيت .

***

واذا كان أدبنا خلوا من (دليل للقراء) أو ما يشبهه ، فانه خلو أيضا من اصطلاحات عربية معروفة تقــابل هذه الاصطلاحات الأدبية الأجنبية ، وهــذه مشكلة ما زالت قائمة لا في عالم الأدب حسب ، بل في المعارف كلها التــي أقبلت علينا من أوربا ، وحسبنا ان نتذكر أن اصطلاحات العلوم الطبيعية والرياضية التي تغص بها كتب الناشئة في مدارسنا لم تعرف التنسيق والتوحيــد ، واننا ما زلنا في العراق نستعمل عشرات الاصطلاحات التــي قد لا تجــد قبــولا في مصر أو سورية ولبنان ، وقل الأمر نفسه عن المصطلحات التي تستعملها هذه الدول اذا وفدت علينا .

لقــد حاولت اللجنة الثقافيــة بجامعة الدول العربيــة محاولات قيمةناجحة بهذا الميدان، وهي سائرةقدما لتوحيد المصطلحات كما أن المجامع العلمية ومجامع اللغة العربية في الوطن العربي تبذل جهدا غير يسير فيهذا المضمار أيضا. ولا بد لي أن أطري ما اصطلحعليه الأستاذالزيات والأستاذ أحمد أمين والدكتور زكي نجيب محمود خاصة . فلقــد حاولت أن ارجع الى بعض ما عربوه وان افيد منه .

ولا أشك في أن بعض القراء سيخالفونني في ايثار هذا

الاصطلاح أو ذاك ، وسيرون أن لفظة تفضل لفظة ، وتعبيرا يشرف تعبيرا . ويصدق هذا على كثير من المصطلحات التي يتبناها الذين يعنون بالعلوم أيضا ، لأن الشأن ـ في الأدب خاصة ـ سيظل موكولا بالذوق ، وما يؤثر المعرب نفسه ، ما دام أدبنا ـ كما قلت ـ خلوا من اصطلاحات أقرتها مجامعنا اللغوية أو اجمع عليها أعلام أدبنا .

* * *

وبعد :

فلا بد لي قبل أن أختتم كلمتي هذه أن أشكر الدكتور عبد الجبار المطلبي فقد أعانني على كتابة بعض الاصطلاحات وتهذيب المجموعة كلها ، وأن أشكر الاستاذ محيي الدين اسماعيل ، فقد أضاف بعض المواد الى هذه المجموعة وقرأها ليعدها للطبع .

ويجدر بي أن أشير الى انني آثرت أن أذكر أسماء الأعلام والمصطلحات بالحروف اللاتينية آخر كل مقالة لأباعد المقالات كلها عما قد يتعثر به بعض القراء ، ولتكون هذه الأسماء مجتمعة دون الذين يرغبون في الوقوف عليها

كما عرفتها أوربا . والله نرجو أن يهيىء لهذا الميدان دراسة شاملة تضمها موسوعة أدبية أو دليل أدبي أشمل من هذا وأكثر نفعا ، انه نعم المولى ونعم النصير .

ناصر الحاني

بيروت في ٩ شوال ١٣٨٧
الموافق ٩ كانون الثاني ١٩٦٨

النزعة الإحيائيّة [1]

تطلق النزعة الاحيائية على الدعوة التي ظهرت في عصر النهضة مباشرة ، وعنيت بالدراسة التي يطلق عليها العلوم الأدبية أو الكلاسية ـ اللاتينية واليونانية . وقد وجدت هذه النزعة بايطالية ـ شأن حركة النهضة كلها ـ التي استطاعت أن تبقي على كثير من تقاليدها الموروثة خلال العصور . ولما كانت أقرب أقطار أوربا المتحضرة الى الامبراطورية الشرقية فقد هرع اليها العلماء البيزنطيون واتخذوها مُهاجراً عندما هجم الترك على بلادهم واكتسحوها .

وقد عنيت ايطالية قبل هذا بدراسة التراث القديم كله ونبغ فيها أعلام رعوا اللغة اللاتينية وتراثها ، من أشهرهم بترارك[2] وبوكاشيو[3] وهما ممن عرفوا اللغة اللاتينية

---

(١) (Humanism) عرفت هذه اللفظة عادة بـ (النزعة الانسانية) وهي ترجمة حرفية اثرنا هذا الاصطلاح عليها . ونرى ان نذكر هنا أن للكلمة جملة معان ، فقد تستعمل لتدل على (النظرية التربوية) التي تدعي أن دراسة (الكلاسيات) خير وسيلة لتهيئة عقل مفكر مبدع . وكثيرا ما تقف بوجه الدعوة التي تؤكد تأكيدا كبيرا على العلوم الطبيعية . وقد تستعمل لتدل على نحو فلسفي يجعل الانسان مقياس الاشياء كلها .

(٢) Petrarch (٣) Boccaccio

واللغة اليونانية .

بدأت دراسة اللغة اليونانية دراسة علمية في ايطالية عام ١٣٩١ عندما أقام ميخائيل كريسولوراس[٤] بمدينةفلورنسة ــ وهو مار بها بمهمة بعثه بها امبراطور بيزنطة ــ فراح يعلم الناس اللغة اليونانية .

لقد جاء بعده أربعة علماء هجروا الامبراطورية البيزنطية فارين من ظلم الأتراك أو بسبب سقوط (القسطنطينية) عام ١٤٥٣ . وتلمذ لهؤلاء جملة علماء وأساتذة تجمعوا من أطراف الألب كلها وعنوا بالمخطوطات القديمة عناية فائقة حتى أصبح اكتشاف المخطوطات من هوايات الملوك والبابوات ، وصار العلماء والدارسون يعنون باحياء التراث القديم .

وطغت هذه النزعة الاحيائية على كل من في العصر حتى أصبحت طابع الزمان وصارت المعرفة تقرن عادة بفكرة احياء الفلسفة الأفلاطونية خاصة .

وأسس مجمع علمي كان من أشهر العلماء الذين حظوا برئاسته مارسيليو فيشينيو (١٤٣٣ ــ ١٤٩٩)[٥] الذي حاول أن يوحد الأفلاطونية والمسيحية .

لقد عرفت بعض كتب أرسطو ، وصار العلماء يقرأونها باليونانية فأحدثت كثيرا من الخلافات بينهم ولا سيما في تفسيرها وشرحها وظل بعضهم يأخذ بالآراء التي عرفها

---

(٤) Michael Chrysoloras (٥) Marsilio Ficnio

العرب عنها وتفاسيرهم والبعض الآخر ينـاصر ما جاء به الكاثوليك .

ان حركة احياء العلوم قد تهيأ لها ان تخطو خطوة جبارة باختراع الطباعة ، فنجد الطبـاع الايطالي العظيم ألدس مانوتيوس ١٤٥٠ ــ ١٥١٥[٦] بنشر (٢٨) كتابا كلاسيا ــ يونانيا ولاتينيا . وقد اصطحب ألدس عددا كبيرا مـن الأساتذة الذين اعانوه على تحقيق ما طبع . ويجدر بنا أن نتذكر ان الطباعة عند هذا الرجل الفذ لم تكن عملا قصد من ورائه كسب المال بل ظل وساطة لبث الثقافة والمعرفة .

لقد رأت حركة الاحياء هذه نهايتها عند ما احتل جنود جارلس الخامس بين ١٥٢٧ ــ و ١٥٣٠ أغلب مدن ايطالية ، ولو لم تكن جذور هذه الحركة عميقة في المناطق الشمالية خاصة لماتت كليا وطمس أثرها .

ويمكن أن يقال ان أشهر أعـلام النزعة الاحيائية وراء الألب : اكريكولا (١٤٤٣ ــ ١٤٨٥)[٧] وجوهان ريوشلن (١٤٥٥ ــ ١٥٣٢)[٨] . وقد ظل الرواد في صراع دائم مع خصومهم واستطاعوا أن يضفوا الابداع على الدراسـات التي شغلوا بها .

فنجد رواد النزعة الاحيائية الايطاليين يوقفون أنفسهم للأدب والفن ، كما نجـد الألمان ينصرفـون الى الديـن

---

(٦) Aldus Manutius

(٧) Agricola

(٨) Johann Reuchlin

ودراساته والى التربية والاصلاح الاجتماعي ، وكانت هذه الدراسات الواسعة فاتحة لعصر الاصـلاح ، وقد صدق الذيـن ذهبوا الى أن نزعة الاحياء في الأقطـار الأوربية المجاورة للألب كانت من صنع ايطالية وعلمائها .

ولعل من أكبر العلماء الذين عـادوا بفضل كبير عـلى أوربا كلها ووقفوا انفسهم للنهوض بالنزعة الاحيائية هو العالم الهولندي الشهير اراسمس[٩] الذي يعتبر مـن أهم الأركان الذين عرفهم عصر النهضة وأثروا تأثيرا مباشرا في فرنسا وبريطانية .

ومن الذين اشتهروا في انكلترة الشاعر جوسر الذي مهد لكثير من العلماء الانكليز ، وقد لمع بعده آخرون استطاعوا أن يكونوا مدرسة قائمة وحدها ، تذكرنا بما عرفنا عـن ايطالية وأعلامها ، وكثرت بعد ذلك مدارس النزعة الاحيائية في انكلترة . فنجد السير توماس مور (١٤٧٨ ــ ١٥٣٥) يعمـل جاهدا عـلى مقاومة خصـوم الدراسات اليونانية ويذهب الى أبعد من هذا فيكتب كتابه الشهير (يوتوبيا) مجـاريا أفلاطون في جمهوريتـه . وكـانت أوكسفورد وكمبردج بعدها من مراكـز النزعة الاحيائيـة الكبيرة ، واستطاعتا بفضل عدد جم مـن الأساتـذة فيهما أن تمهدا السبيل للأدب العظيم الذي جاءنا عـن العصر الاليزابيثي الذي يعتبر من أغنى عصور الادب الانكليزي وابهاها .

---

(٩) Dutghman Desiderius Erasmus

الإفتِـتاح [1]

يتألف هذا المصطلح في اللغة اليونانية من كلمتين معناهما (قبل كلمة) يشار بهما الى ما يلقى لتقديم الدراما . وقد استعمله الاغريق كما يستعمل اليوم ، غير أن معناه كـان أوسع لأنه شمل كل نوع من أنواع التقديم .

فكان الممثل في الدراما الاغريقية يتقدم قبل بدء التمثيل ويلقى عبارات التقديم ، وكـان من الضروري أن يسمع النظارة هذه العبارات ليحاطـوا علما بما للمسرحية مـن أهمية .

وقد كانت العادة منذ القدم عنـد اليونانيين أن يفصلوا الكلام في كـل شيء يرتبط بالمسرحية . والمسرحية ليست الا كارثة ـ كما هي العادة ـ لا بد أن تجري وفق الوقائع التي تروى في الافتتاح .

ويظن أن الافتتاح من ابتكار يوربيدس [2] ، وقد قيل ان ذلك كان يحل عنده محل فصل أول تفسيري ، وهذا ما يخفف من حدة النقد الموجه الى الافتتاح الاغريقي على

---

(١) Euripides (٢) Prologue

أنه شيء زائد لا يمت الى المسرحية بصلة ولا فائدة منه ، وأنه يقف سدا فاصلا بيننا وبين التمتع بالمسرحية ذاتها . والحق أنه كان مفيــدا لنظارة أثينا ، وذا صلــة مباشرة بالمسرحية ، اذ أنه مدّهم بما يحتاجون اليه لتبدو المناظر التالية له مفهومة واضحة .

من العسير قبول الرأي القائل أن يوربيدس ابتكر خطة تقديم اله ليبرر فعل هــذا المعبود في الانسان لأنه ـ كما عرف عنه ـ كره تدخل ما فــوق الطبيعة ولم يؤمن به . ويبدو أنه قبل تقليدا سابقا واستغله لغرض منافض لما كان يؤديه المعبود المقدم ، وذلك باستخدامه وسيلــة لتفكيره الساخر المتهكم . وربما كــان عدد كبير من الافتتاحيات متأخرا في تاريخ وجوده عــن المسرحيات التي تصوره أو ربما احتوت الافتتاحيات عــلى زيــادات أضيفت اليهــا فيما بعد .

والافتتاح في المسرح اللاتيني غالبا ما كان أقوى حبكة من المعروف في أثينا . ويمكننا ان نعرف أهمية هذا الفن عند ما نجد بلوتوس[٣] يعنى بالقصائد التي يستهل بهــا مسرحياته عناية بالغة ، وقد تحلق عبقريته بعيــدا في سماء عليائها في مطالعه هذه .

ولم تقتصر المطالع على مسرحيات العصور الوسطى وانما

---

(٣) Plautus

ظهرت مع المسرحية في معناها الحديث في العصر الاليزابيثي غير أن استعمالها لم يعم . فلم يلجأ شكسبير الى الافتتاح كثيرا ، اذ نراه بمسرحيته (هنري الخامس) حيث قدم لكل فصل من فصولها تقديما خاصا به و (روميو وجوليت) فقط .

ان الافتتاحيات الاليزابيثية عبـارة عن قصائد محبوكة حبكا قويا وغالبا ما كانت قطعا من الشعر المرسل الغامض المغلق ، حتى انه ليصعب علينا أن ندرك كيف أن سامعيه استطاعوا أن يتابعوه .

تعتبر افتتاحيات بن جونسون من أحسن مطـالع العصر الاليزابيثي وأكثرها مهارة ومتعة ، فقد كان ينوع الشكل في كل مناسبة ، ولـم يتهيأ للافتتاح ان يستعمل حتى جاء عهد اعادة الملكية . وكانت افتتاحيات الثلاثين سنة الأخيرة مـن القرن السابع عشر تكتب كلها بشعر مقفى ، وكثيرا ما كان يلقيها ممثل أو ممثلة مـن البارزين أو البارزات في التمثيل . وتدور هذه المطالع على الموضوعات الاجتماعية والأدبية .

وقد استمر الافتتاح يزدهر في القرن الثامن عشر ولكنه لم يعد من مألوف العصر في الجزء الأول من القرن التاسع عشر واختفى بعد ذلك .

الأركادي [1]

هذه صفة مشتقة مــن كلمــة (Arcadia) وهي اسم للمنطقة الجبلية في اليونان . وقد ذكرت الأساطير اليونانية أن فريقا من الرعاة قطنوها وعاشوا حياة ساذجة متنقلة . وأطلقت الصفة خاصة عــلى الشعر أو النثر الذي يتشبث بالرعاة أو بالبيئة الريفية ، ويتميز عــادة بالأسلوب السهل والآراء غــير المعقــدة ، وأطلــق هــذا المصطلح بالعصر الاليزابيثي ــ من عصور الأدب الانكليزي ــ على القصص التــي تشبه بموضوعها وأسلوبها قصــة سدني الشهيرة « أركاديا »[2] التي نشرت عام ١٥٩٠ وكتبها لتتسلى بهــا أخته كونتس بمبروك .

وتعتبر قصة كرين[3] التي تسمى مينافون[4] وتمثيليــة فلتجر[5] التي تسمى الراعية المخلصة[6] من هذا الطراز . ونوصف رواية (شكسبير) (كيفماتريد)[7] بأنها أركادية أيضا .

---

(١) Arcadian

(٢) Arcadia

(٣) Green

(٤) Menaphon

(٥) Fletcher

(٦) Faithful Shepherdess

(٧) As you like it

الأقصوصة[1]

الأقصوصة أقرب ألوان الأدب الى الطبيعة غير المتكلفة ، ومهما اختلفت طرقها وتنوعت مناهجها فانها تبقى « ابلاغا موجزا »[2] . فالحكاية القصيرة وسرد المغامرات والنوادر والفكاهات تدخل في نطاقها قبل أن تسجل رداءها الفني وتتقمصه .

ان التوراة والانجيل والقرآن الكريم تشتمل على أقاصيص جميلة ، وما من أسرة في العالم تدعي انها أسرة حقا تخلو من قصاصها . وكل فئة من الناس لها حكاياتها التي لا تعدو أن تكون سلسلة أقاصيص تحكى وتعاد ، وما من أحد في العالم لم يكن نفسه في حين من الأحيان قصاصا .

ان رواية الأقاصيص وتبادلها بين الناس عمل لا ينقطع ، وليس لهذه الأقاصيص حصر بل نجد لها الوانا كثيرة لا حد لها ، فقد تحصل على أقصوصة اذا استطعت أن تسجل ما يسرده طفل عليك من حوادث في مدرسته حدثت عصر يوم من الأيام ، واذا سردت لك سيدة عجوز حوادث عام

---

(١) Short Story

(٢) Brief Communication

كامل قضته جالسة أمام بيتها فان هذا ـ مكتوبا ـ يؤلف أقصوصة أيضا .

وليست الأقصوصة التـي تحكى وترويها شفاه لشفاه كالقصص المكتوبة ، فبين النوعين فرق ظاهر ، على أن من الكتاب من حاول أن يكتب أقاصيصه كما لو كان يسردها مشافهة أو كما لو كان آخر يقصها عليه .

فالأقصوصة اذاً ، وهي السرد القصير بين انسان وانسان، طبيعية ولا بد منها . ولقد نشأت الأقصوصة وتطورت على مدى الأيام واتخذت لها شكلا فنيا والتفت أصحابها الى أمور مثل التشخيص والمكان الذي حدثت فيه والجو الذي يلفها ، كما اشتملت على عنـاصر أخرى مثـل التوقع أو الانتظار الذي يجعل القارىء أو السامع يتـابع حوادثها بلهفة وشوق ومثل النهاية التي تختم الحوادث بها .

والقصة الوحيدة التي لا تفتأ الانسانية ترويها وترددها هي قصة الانسان في هذه الحياة ، هذه القصة لا نهاية لها ولا حدود لأنواعها ، ويكمن بهذا سر عـدم خشية كاتب القصة من نفاد المادة القصصية . ويدور سؤال مؤداه : اذا كنا نستطيع ان نقول هذا أيضا عـن كاتب القصة الطويلة (Novel) ، ويمكن ان نعطي جوابا ايجابيا ، لأن القصة انما هي سرد مطول لتجربة صغيرة من تجارب البشر ؛ فقد نجد في كثير مـن القصص الطويلة أقاصيص قصيرة ، وتبدو قضية الطول وعدد الكلمات ذات علاقة بالموضوع ،ولكنها

لا تعدو في حقيقــة الأمر أن تكــون علاقة شكلية . ان اصطلاحي الأقصوصة والقصة الطويلة أخذا يوحيان بمعان خاصة عند المتخصصين بالأدب علــى الأقل ، واما العامة فان كل حكاية عندهم هي قصة كما أن كل شيء بين دفتين يسمى كتابا .

ان الأقصوصة ــ دون ريب ــ أكثر الأنــواع الادبية انطلاقا وحرية ، فهي أكثر حرية من أي نوع مــن أنواع القصائد وربما أكثر انطلاقا وحرية من القصة الطويلة ، وان كانت هذه النقطة مدار جدل أدبي . فقد تكون الأقصوصة كل شيء وليست القصيدة ولا القصة الطويلة كذلك . فقد تكون قصيدة وقد تكون قصة طويلــة في جوهرها وقد تكون قصيدة وقصة طويلــة في آن واحــد . ولا تكون القصيــدة أقصوصة كما لا تكــون القصة الطويلة أيضا أقصوصة .

وقد تكــون الأقصوصة أبسط أنــواع التعبــير أو (الابلاغ) وقد تكون أعقدها كما قد تكون أكثر أنواع التعبير نظاما وترتيبا أو خلطا وفوضى .

ان ركنها الأول وجــود الكاتب الحقيقــي ، فان وجد فالأقصوصة مؤثرة سواء توافرت فيها ما تحتمه نظريــات الأدب مثل الحبكة والخطوات والنهاية أم لا . فكل شيء يعتمد على الكاتب لأنه هو الذي يكتب وهو الذي يضع القواعد .

وقد تكون الأقصوصة طريقة وأسلوبا فقط . فأقاصيص ادكار الن بو [٣] انما هي أقاصيص ذات حبكة وتوقع وجو وكلها فنية تنقصها علاقة بالحيـاة الحقيقية ، لأن واقعها واقع فن مصطنع .

لقد اتخذت الأقصوصة عـلى يدي (بو) قالبا خاصا يشتمل عليها فلا تجد منه انعتاقا حتى حررها (موباسان)[٤] تحريرا نهائيا قد يحسب أعظم تحرير قام به كاتب . وربما قيل انه كتب قليلا مـن الأقاصيص العظيمة وكثيرا مـن الأقاصيص الجيدة ، وعددا هائلا من الأقاصيص الرديئة .

ومهما يكن من شيء ، فالحقيقة التي لا مراء فيها هي أن في كل أقصوصة كتبها سواء كانت عظيمـة أم جيدة أم رديئة تمتلىء احساسا بالحياة الحقيقية وشعورا بواقعها . وأقاصيصه في جملتها احتفال الانسانية بأفراح هذه الحياة وآلامها .

لقد دفع شيخوف بالأقصوصة الى مجال آخر من الحرية والسحر والروعة ، على أننا يجب أن نذكر أو. هنري[٥] في أميركا لاتجاه السليم وتأثيره الخادع ، فخواتيم أقاصيصه استمرأها كثير من القصاص سنين طويلـة واعتبرت مثلا يحتذى . ولقـد استطاع أن يتصل في اثنتين أو ثلاث من

---

(٣) Edgar Allan Poe
(٤) Guy de Maupassant
(٥) O. Henry

أقاصيصه بالحياة اتصالا عميقا فنسي الخاتمة الخادعـة . بيد أن أقاصيصه ، جملة ، تبدو كأنها صنعت بماكنة لا أنها كتبت بيد انسان . تلك الماكنة ذكية فطنة لها قلب ولكنها ماكنة وان أضفينا عليها نعوتا شتى .

ان أقاصيص دكنز[٦] ، وان كانت لا تقاس الى انتاجه في الميادين الأخرى ، حرة انسانية مؤثرة ، ذلك لأن دكنز ظل في أقاصيصه وقصصه مرتجلا ، والارتجال طريق الطبيعة ذاتها أكثر من التنظيم والتصنع .

★★★

ان النظريةالأدبية التي سادت تحتم أن تكون الأقصوصة مما يقرأ بجلسة واحـدة . والخطأ في هـذه النظرية هي أن بعض النـاس يستطيعون أن يجلسوا مدة أطول من غيرهم ، وبهذا تفقـد المدة ويصعب تحديدها . وتكـون الأقصوصة على العموم مؤلفة من عدد من الكلمات يتراوح بين ٢٥٠٠ كلمة وأقل مـن عشرة آلاف كلمة . أما ما كان أقل من ٢٥٠٠ كلمة فيعتبر أقصوصة قصيرة ، كما ان أي شيء أكثر من عشرة آلاف كلمة يعتبر أقصوصة طويلة ، فاذا جاز عشرين ألفا من الكلمات فهو قصيصة (أو رواية قصيرة) [٧] . وقد تناسب هذه المقاييس الشكلية بعض الناس من المتخصصين بالأدب ولكنها في حقيقة الأمر هراء لا طائل

---

(٦) Dickens

(٧) Novelette

وراءه . ففي القرآن الكريم أقاصيص ممتازة كاملة لا تتألف الواحدة منها في الغالب من أكثر من ٥٠٠ كلمة ، كما أن في بعض القصص الطويلة عددا من المقاطع تتعدى كل منها عشرين ألف كلمة ومع ذلك فهي أقاصيص . والحق أن ليس هناك نظرية نهائية في أي نوع من أنواع الأدب .

فما يحتاج اليه أولا كاتب الاقصوصة وثانيا قارؤها . وقد تزدهر بين هذين الطرفين النظريات الى الأبد . ويبدو أنها تزدهر حينما يتهيأ كتاب لا حول لهم وأقاصيص لا نضارة فيها ولا جدة ولا تستحق الا أن ترمى على جانبي الطريق .

يجب أن تكون أشكال القصة غير محدودة ، فما دام على الأرض أناس أحياء فالقصة الواحدة تستمر في الكشف عن جوانب منهم وهي لا تفتأ تتحدى من يريد أن يمسك بجزء من تلك الحكاية العجيبة « قصة الانسان » .

يجب ألا يتخذ المرء كتابة الأقاصيص مهنة ما لم يكن مدركا أنه يعيش كل يوم مائة أقصوصة وأنه يختلف عن أي شخص في العالم في هذا المجال . كما يجب أن يدرك أن فرص كسب العيش بكتابة الأقاصيص نادرة ، فلهذا يجب أن يرغب في كتابتها ، لا لشيء ، بل لأنه يرغب في ذلك أو أنه يجب أن يكتبها .

الشعر الاليجي [1]

لم تكن هناك علاقة حتمية بين البكاء على الميت أو ما نسميه رثاء وبين (الشعر الاليجي) ابتداء . فقد كان هذا الشعر يغني بمصاحبة النـاي ، وله وزن معين لا يتقيد بموضـوع معلـوم . فنرى البطولـة والفروسية والهجر والحرمان وبكاء الميت وغيرها تدخل في هذا الميدان . وقد ذهب الشعر الاليجي المتأخر الى أبعد مـن هذا اذ طرق موضوعات تتعلق بالحب وما يدخل بباب الشعر الغنائي . وكان مثل هذا في الشعر اللاتيني وخاصة بنتاج أوفيد[2] وبروبرتيوس[3] وتيبولوس[4] . وتنوعت الموضوعات التي تلتزم هذا الوزن حتى غدت لا حصر لها وان كـان الرثاء والخواطر التذكارية مما دار كثيرا أيضا .

---

(١) (Elegy) للشعر الاليجي وزن معلوم ويطرق موضوعات متعددة . فهو الشعر نفسه بأغراضه المتعددة وليس سهلا ان يقابل بكلمة تتخذ اصطلاحا . ولذلك رأيت ان انحو نحـو الاستاذ احمد أمين والدكتـور زكي نجيب محمود فاتبنى الكلمة الانكليزية نفسها . انظر قصة الادب في العالم ج ١ ص ١٦٣ .

(٢) Ovid

(٣) Tibullus

(٤) Propertius

لقد ذهب كولردج الى أن « للشعر الاليجي أن يطرق كل موضوع ما دام هذا الموضوع مما يخص ذات الشاعر نفسه » ، وهذا الوصف الشامل يبعده ــ برأي كولردج ــ عن أن يتقيد ببحر أو بموضوع .

ومهما يكن من شيء فان الشعر الاليجي خصص لندب الميت وبكائه في القرون الأخيرة .

وفي الأدب الانكليزي مراث لا تجـارى ظلت الأجيال ترددهـا ، وأصبحت نموذجا للرثاء ، منهـا مرثية الشاعر كري[٥] التي عنوانها «رثاء في ساحة كنيسة ريفية» عام١٧٥١ ومرثية الشاعر شلي التي تسمى « ادونيس »[٦] ١٨٢١ .

ولا بد أن نذكر أن هذين الشاعرين وغيرهما قد جاروا نهج قصيدة الشاعر اليوناني «بيون»[٧] التي تسمى(مرثية ادونيس) وذلك بأن يلوذوا بالأمل والصبر آخر القصيدة .

---

(٥) Gray : Elegy in a Country Church Yard

(٦) Shelly : Adonais

(٧) (Bion) مجهول الزمان والمكان وشك النقاد في كثير مما نسب اليه من شعر وان اتفقوا على أن (مرثية ادونيس) له ، وقد رثاه أحد تلامذته بمرثية عنوانها (رثاء بيون) وذكر ــ تلميذه هذا ــ انه عاش بجزيرة صقلية .

الإيماجيّة [١]

الايماجيــة مدرسة نهض بهــا بعض الشعراء الانكليز والأميركيين الذين ذهبوا الى تعريف حقيقة الخيال الشعري وطبيعته تعريفا شاملا وتطبيقه في الصور الجديدة التــي ابتدعوها في الشعر الغنائي .

فقد أسس هذه المدرسة الشاعر المعروف ازرا باوند[٢] في لندن عام ١٩١٢ وخلفه على قيادها أمي لويل[٣] عندما انشق عليها بعد عامين ومال الى ما سمي الحركة الدوامية[٤] التي قادها وحده وظل عمادها ، والحقيقة أنها ، وان انفــردت بتسمية خاصة ، لا تختلف كثيرا عن الايماجية .

لقد ظهرت أربع مجموعات شعرية بين ١٩١٤ و ١٩١٧ لثلاثة عشر شاعرا مــن رواد هذه المدرسة ، وضمت هذه المجموعات قطعا ممتازة لمؤسسي المدرسة ولبعض الشعراء الآخرين ، لعل مــن أشهرهم ريجارد الدنكتون[٥] ودي ايج . لورانس[٦] وجيمس جويس[٧] ، وكانت مجلة (الشعر)

---

(١) Imagism
(٢) Ezra Pound
(٣) Amy Lowel
(٤) Vorticism
(٥) Richard Aldington
(٦) D.H. Lawrance
(٧) James Joyce

التي صدرت في الولايات المتحدة ومجلة (الذاتي)[8] التي صدرت في انكلترة لسان حال هذه المدرسة .

ومما لا شك فيه ان الشاعر تي. ي. هولم.[9] ١٨٨٦ ــ ١٩١٧ يمكن ان يعتبر الأب الحقيقي للمدرسة الايماجية ، فقد ادعى أن روح المدرسة الرومنسية يجب أن تقهر وتحل محلها فنون وأصول شعرية جديدة تعنى بالدقة وتحفل بالايجاز وتعاف الاطالة التي لا طائل وراءها . ولا شك في أنه أراد بهذه الدعوة الى احلال الايماجية محل الرومنسية وغيرها من المذاهب الأدبية الأخرى .

وقد ثارت هذه المدرسة على الخيال الذي يمعن في الانسياب وعلى الاتجاه العالمي الذي دعت اليه المدرسة الرمزية . وانتقدت الحركات الأدبية الأخرى المعاصرة لها كالمدرسة المستقبلية والمدرسة التكعيبية ، وحاولت أن تركز على صور الشعر أكثر من فكره .

ودعت الى استعمال الألفاظ اليومية وانتقاء الكلمات المناسبة التي لا تحتمل التأويل والى السماح للشاعر باختيار موضوعه من أين شاء وكيف شاء وابتداعه بعض البحور والقوافي الجديدة التي تلائم الموضوعات الجديدة .

لقد عرفت الايماجية نهايتها خلال المراحل الأخيرة من الحرب العالمية الأولى .

---

(٨) Egoist

(٩) T. H. Hulme

البدائية [1]

ان هذه القصة مشتقة من (Primitivus) التـي تعني باللاتينية «سبقا في الزمن» ،وتقف في الأدب ضد المدرسة المستقبلية[2] ، وقد استعملها الأميركيون الانسانيون[3] للذم .

وهذه البدائية انما هي تمجيـد وأتباع مقصود لمرحلة مبكرة من التطور الانساني .

ويبدو أن كل عصر احتفظ بذكرى زمن مبكر أو أنشأ خرافة ذلك الزمن القديم ، ليعبر عن الحياة السليمة التي لم تطرأ عليها عوامل الفساد . تلك الحياة الأصيلة الطليقة التي يجري فيها كل شيء مجراه الطبيعي .

فالانجيل يبـدأ بالفردوس المفقـود والالياذة تمـدح المحاربين الذيـن مضوا . وتنظر العصـور المتأخرة نظرة احترام وتبجيـل للعصر الهوميري ، أمـا أرسطو والنقاد الرومان فقد وجهوا وجوههم شطر أفكار القرن الخامس ، قرن الجلال والبساطة المهذبة . ونرى أرستوفان يهـاجم

---

(١) Primitivism

(٢) Futurism

(٣) American Humanist

أيـام زمانه الفاسد ويلتفت الى السلامة الروحية والاتزان العقلي لأثينا في ماضيها المجيد .

فملاحظة التقدم يقابلها دائما فكرة الانحـلال الروحي على عكس العهد البدائي ــ العهد الماضي الذهبي . وفي الحق لقد كـان التقدم ذاته في أي شيء ــ ما عدا المادي منه ــ يمثل غالبا بسفرة حلم [٤] الى الفردوس المفقود . وقد أعادت عصـور القلق وعدم الاستقرار خلق هـذه المنطقة ذات الفضائل الأولى والجمال البدائي ، وما عصر النهضة الا تلمس للمجد الذي هو اليونان والعظمة التي كانت روما .

ولقد أظهر الشعر الرعائي في القرن الثامن عشر الحنين الى البساطة الأولى والفرح الأول ، وما رغبة (روسو)[٥] في انسان يسير على الاربع ووحش (نيتشة)[٦] الأشقر الا مظهران ترتفع فيهما البربرية الى مرتبة المثاليـة ، وكذلك هذا الوحشي النبيل الذي يطل في عصر النهضة من كتابات الاغريق والروم وهـذه « الجزائر السعيدة » الحديثة في البحار الجنوبية .

وقد سلك هذا التلمس أو البحث ثلاثة طرق :

١ ــ فالبعيد النائي ــ دائما ــ ذو اغراء ، ومنازل القوة

---

(٤) Dream Journey

(٥) Rousseau

(٦) Nietzche

والفضيلة لا بد أن يكونا في الماضي البعيد .

٢ ـ هذه الرغبة الصادية الى الأيـام الطيبة التي سلفت (رحلة الى زمن مضى) ربما سببها أسف المرء على شبابه الذاهب . ومن هذا الدافـع الذي يدفع من هم أكبر منه سنا للاحتفاظ بهيبتهم .

٣ ـ ميل لرفع الطفل ومن يشبهه الى مرتبة المثالية .

ترتبط بهذه كلها فكرة الشعر التي احتضنها الرومنسيون في أنه يأتي طواعية مـن غير تعمل ولا تكلف . والفكرة القائلة ان عقل العامي أكثر خصبا من ذهن الباحث .

تلتقي هـذه الاتجاهات الثلاثة في البدائيات الايطالية ، وتبدو أكثر وضوحا في تبجيـل الصينيين وزنوج أفريقيا القديم المهجور .

وانه لذلـك البدائي الذي وجده (فرويد) في منطقه اللاوعي والذي هو في صراع لا نهاية له مع تأثيرات المجتمع بطرزه وقانونه ـ تأثيرات لا تفتأ تضغط عليه وتحاول أن تدفنه بعيدا في أعماق العقل الباطن السحيقة .

وقد يعتبر الحنين الى الانسانية الأولى (البدائية) في ميدان الأدب محفزا يعيد الجدة ويمنع التقاليد من التصلب والجمود .

التعبيريّة [1]

أو المذهب التعبيري

هذه نزعة من الأدب والفن ظهرت في ألمانية قبيل الحرب العالمية الأولى وكان مبدع أصولها الكاتب المسرحي (كيد) وظلت سائدة ما يقرب من عشرة أعوام ، وتقابلها المدرسة المستقبلية في ايطاليـة والمدرسة المكعبية ــ المستقبلية في روسية قبل الثورة الشيوعية . وقد استطاعت هذه النزعة أن تؤثر في حركة المجددين في الولايات المتحدة وانكلترة ، وفي الحركة التيظهرت خلالالحرب وعرفت باسم «ما فوق الواقعية» .

ظهر الاصطلاح ــ أول ما ظهر ــ عام ١٩١٠ ، وهو من ابتداع الفنان الفرنسي هارف[٢] ، وقد استعمله الكاتب النمساوي هرمان بار[٣] في الأدب عام ١٩١٤ .

أدرك الرواد التعبيريـون تحللا في المجتمـع الأوربي وركودا منكـرا شاملا ، صحب الرخاء المادي الذي عرفته أوربا في العقد الأول من هذا القرن، ورأوا أن الابداع قتله الجمـود ، وأن العصر شغل بالمكائن والآلات وسيطرت نزعـات أديبـة عـلى دنيا الأدب كالطبيعية والانطباعية

---

(١) Expressionism
(٢) Herve
(٣) Hermann Bahr

والرومنسية الجديدة وليس فيها خير يرجى .

وقد تأثر هؤلاء التعبيريون بالفلسفة الجديدة التي دعا اليها بركسن[٤] وبالنهج الأدبي الذي عرفه دستيوفسكي[٥] وسترندبرغ[٦] وامعانهما بالتأكيد على الروح الانسانية وما أضفته دراسات دارون الشهيرة ، ولذلك ذهبوا الى اقتحام الحجب التي أقامتها بعض المدارس دون الواقع ، وحاولوا أن يتقصوا المعاني العميقة لحقيقة الأشياء التي يشاهدونها ويتخذونها محورهم ، وكرهوا أن يدوروا حول جهة واحدة منها .

ان الأسلوب التعبيري عنيف ولا يعرف الانسجام والتنسيق ، ويحاول أن يؤكد على ما يبدو ذا طابع سارّ ، ويلتزم الايجاز الذي يذكر القارىء أحيانا بأسلوب البرقيات . ويعنى التعبيريون عناية فائقة بالخيال الذي يصير الجماد ذا حياة ويصف الانسان وقد صيرته المكائن والآلات جمادا لا حياة فيه .

ويقسم النقاد أنصار هذه النزعة الى ثلاث فرق ، تمثل الأولى الذين سموا «العقلاء» أمثال هلر[٧] وهاسن كلفر[٨] وتولر[٩] ، وقد عني هؤلاء بالاصلاح الاجتماعي والسياسي .

وعنيت الفرقة الثانية بعلاقة الفرد بوطنه ، ومن أشهر

---

(٤) Bergson
(٥) Dostoyevsky
(٦) Strindberg
(٧) Hiller
(٨) Hasenclever
(٩) Toller

أعلامها هينيك[١٠] ولرش[١١] .

وعنيت الفرقة الثالثة بمشكلة الانسان وخالقه أو علاقة الفرد بالرب ، ومن أنصارها سورج[١٢] وورفل[١٣] وكورنفلد[١٤] ويضم بعض النقاد الكاتب كافكا[١٥] الى هذه الطبقة .

ومع أن هذه المدرسة أثرت في أكثر الفنون الجميلة وتهيأ لها أعلام برزوا في القصة مثل كافكا وفي القصص القصيرة مثل أدشمد[١٦] فان أثرها الرئيس واضح بالادب التمثيلي والمسرح نفسه . وقد أنجبت المدرسة التعبيرية أشهر علمين عرفتهما أوربا في هذين الميدانين هما سترانبرغ الذي مر ذكره وودكايند[١٧] .

لقد بدأت هذه النزعة بالاحتضار عند ما عرفت ألمانية خاصة وأوربا عامة هدوءا نسبيا واستقرارا عام ١٩٢٤ .

ولا بد أن نذكر أن النازيين في ألمانية قد زجوا معظم أنصار المدرسة التعبيرية بالسجون واستطاعوا أن يجروا اليهم بعض الأعلام الذين بشروا بالاشتراكية الوطنية . وليس هذا ببدع فلقد حاولت النازية أن تنعش بعض أصول المدرسة التعبيرية ، وان نسجت على منوال بعيد عن حقيقة هذه الأصول كما عرفها التعبيريون الحقيقيون .

---

(١٠) Heynicke
(١١) Lersch
(١٢) Sorge
(١٣) Werfel
(١٤) Kornfeld
(١٥) Kafka
(١٦) Edschmid
(١٧) Wedekind

الشعر التعليمي[1]

الشعر التعليمي كل ما اتخذ وساطة للتعليم وتضمن أخبارا ونبذا حول الأخلاق أو الدين أو الزراعة أو التاريخ أو غير هذه .

ولقد اعتبر الشعر وساطة طيّعة للتعليم لأن ركنيه مما يعاون على الحفظ وييسره أكثر من النثر ، وهما الوزن والقافية . ان الانسان يوم عزت عليه الكتب وأسبابها آثر أن ينقل المعرفة ويشيعها بهذه الوساطة . وظل غرض الشعر تعليميا زمنا طويلا ، ورأيناه يتخذ وساطة للتعليم حتى في العصور التي لم يكن التعليم غرضها الرئيس من الشعر . فكونفوشيوس مثلا اختار عددا من الأغاني الصينية أصولا لتعاليمه الأخلاقية .

وقد نظم اليونانيون شعرا قصدوا منه التعليم دون اي شيء آخر ، والتزموا فيه الوزن السداسي
ومن أشهر القصائد في هذا الميدان : الأعمال والأيام[2] وبحث في الآلهة[3] لهسيود ، وقد حاول الكتاب الأول أن يجمع بعض التعاليم الخلقية مع نصائح عامة حول الحقول

---

(١) Didactic Poetry

(٢) Hesiod : Work and Days

(٣) Theogony

وما يخصها ، وحاول الكتاب الثاني أن يعطي خلاصة عن التكوين والآلهة . ويبدو أن هسيود كتب سفرا يصنف النساء اللاتي انحدر عنهن الأبطال اليونانيون .

وازدهر الشعر التعليمي مع الحضارة اليونانية في الاسكندرية ، وكتبت هناك قصائد عن الاقتصاد ولدغ الثعابين والطب والأحجار الكريمة والجغرافية وصيد السمك . وتعتبر قصيدة أراتس التي تسمى فاينومينا(٤) من أشهر ما عرفت هذه الحضارة .

وخلف اللاتينيون قصيدتين تعليميتين تعتبران من أجود ما عرف الشعر الخالد هما في طبيعة الأشياء للوكريشس(٥) وجورجيس لفرجيل(٦) ، وليس للقصائد الأخرى الكثيرة اللاتينية ما يغري بذكرها اذا ما قورنت بهاتين القصيدتين . ولم يخل تاريخ أمة من الأمم من مرحلة عرفت هذا الفن الشعري وعنيت به وخلفت آثارا معلومة .. فللألمان والاسبان والفرنسيين وغيرهم شعر تعليمي معلوم .

وقد امتاز الشعر التعليمي في العصور الوسطى بالطابع الديني وغلبت عليه الموضوعات التي تخص الدين عامة ، ورأينا التمثيليات أيضا تتأثر بالانجيل وتدور حول بعض القصص التي وردت فيه .

---

(٤) Aratus : Phaenomena

(٥) Lucretius : De Rerum Natura

(٦) Virgil : Georgics

وكان القرن الثامن عشر من القرون التي عنيت بالشعر التعليمي عناية فائقة وان لم تؤخذ أمهات الكتب الكبرى التي عرفها العصر مأخذا جديا على أنها تعليمية محضة مثل سايدر قصيدة الشاعر فيليب[٧] وفن حفظ الصحة لـ (أرم سترنك) [٨] والحديقة النباتية لـ (دارون)[٩] .

وهناك موضوع آخر دخل ميدان الشعر التعليمي وصار وساطة لتعليمه هو فن الأدب ، وقد جاءنا شيء كثير بهذا الميدان مثل « فن الشعر » لهوراس و « فن الشعر » للناقد الفرنسي بوالو و « مقالـة في النقد » للشاعر الانكليزي بوب .

---

(٧) Philip : Cyder

(٨) Armstrong : Art of Preserving Health

(٩) Darwin: Botanic Garden

تيّار الوعي (١)

هذا اصطلاح جديد في عالم الأدب ، أطلق على صورة من صور الفن القصصي وخاصة ما نحاه بعض كتاب القصة النفسية . فنجد في القصص خلودا الى الذات وتجاوبا مع الأفكار والخلجات المتتابعة الداخلية التي تسترسل . وليس للأحداث أو المحفزات الخارجية أهمية ذات شأن كأهمية هذا التيـار المنساب الذي يبنى عـلى الخواطر وتداعيها وتعلقها ببعضها تعلقا قد لا يكـون للمنطق فيه نصيب أو للتسلسل المألوف في الحياة اليومية أثر كبير . فقـد تقف دون قبر بطل عظيم فتراك تتخيل غارة على الأعداء ، وقد تأخذك الفكرة الى دور هذا البطل ، وتطفر مـن هذا الى تصور ثورة على الاستعمار ترى فيها الناس يهرعون الى الميدان ، وقد يسلمك هذا كله الى صور أخرى .

هذا الانسياب الداخلي هو ما يحفـل به كتاب القصة وأنصار المذهب النفسي خاصة . فتيار الشعور أو الوعي عندهم فرار من العالم الخارجي وانسياب في عالم «فرويد»

---

(١) Stream of Consciousness

الداخلي ، وهذا هو الركيزة وموطن الاستيحاء . والأديب الصادق هو الذي يفيـــد من هذا التيار الفياض فيسجله كله أو بعضه .

ويعتبر جيمس جويس (١٨٨٢ ــ ١٩٤١) مـــن أشهر الأعلام الذيـــن اسهموا بهذا الفن ، وقـــد وصل الذروة بقصته الشهيرة يوليسيس[٢] التي هزت العالم الأدبي عند ظهورها أول مرة بباريس عام ١٩٢١ . ولم تمض مدة قصيرة حتى غدا نهجها محور كثير من القصص .

وتعتبر الكاتبة القصصية الانكليزية فرجينيا وولـــف[٣] وكذلك القصصية دورثي رجاردسن[٤] من أشهر المتأثرات بأدب جويس ونحوه .

---

(٢) James Joyce : Ulysses

(٣) Virginia Woolf (1882-1941)

(٤) Dorothy Richardson (1882-)

الجوق [1] (فرقة المنشدين)

كانت التمثيلية اليونانية في القرنين الخامس والسادس ق.م. تعتمد اعتمادا كبيرا على فرقة من المنشدين يرقصون ويعول عليهم في نجاح الرواية . ويبدو أثر هؤلاء المنشدين بروايـات أخيلس (٥٢٥ ــ ٤٥٦ ق.م.) وخاصة مآسيه ولقد اصبح هؤلاء عماد الرواية بعد ان تطور الفن الروائي والحوار خاصة ولكن اثرهم صار يفقـد أهميته حتى كاد ينعدم في وقت ايروبيدس (٤٨٠ ــ ٤٠٦ ق.م.) وبالرغم من انعـدام أهميـة الجوق فان الروائـي الروماني سنيكا (٦٥ ب.م.) أبقاه يبعض رواياته .

ونجـد الجوق في العصر الاليزابثي في انكلترة يفقـد أهميته كليا ولا يبقى الا ظله أحيانا . وبدلا مـن وجود (فرقة) فقد صار يستعاض عنها بواحد يظهر على المسرح آخر الفصل وان كان ينطق بأشياء لا تمت للرواية بصلة أحيانا .

---

(١) Chorus

حركة إحياء التراث الكلتي [1]

ظهرت ــ أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين ــ حركة أدبية نشيطة دعت الى احياء اللغة الكلتية (لغة سكان غربي أوربا القدماء) وغنائها الشعبي وأساطيرها وآدابها وخاصة تراث أرلندة . ولقد استطاع دعاة هذه الحركة ومؤازروها من شعراء أرلندة وكتابها أن يقوموا بدراسات جيدة للغة الغالية وآدابها وأن يجمعوا الأغاني الشعبية من ولايات أرلندة الحرة ويدرسوا الأبطال الأرلنديين . وصحب هذا النشاط تأسيس نواد أدبية تعنى بهذه الشؤون ، من أهمها (المسرح الأدبي الأرلندي) Irish Literary Theatre الذي أسس بمدينة دبلن . ولعل من أشهر الأعلام الذين دعوا الى احياء اللغة الغوطية وآدابها ييتس (١٨٦٥ ــ ١٩٣٩) الذي يعتبر عميد الحركة الأدبية الأرلندية . فقد كان قوميا متحمسا وأكثر من الكتابة والنظم محاربا التقاليد الغوطية، وكان من مؤسسي المسرح الأدبي الأرلندي الذي سمي

---

(١) Celtic Renaissance

(المسرح الأرلندي) بعدئذ . وقـد كتب كتابه المعروف « الوردة السرية » (The Secret Rose) عن الاساطير الغوطية . وكتب كتابه « ريح خلال القصب » (Wind Among the Reeds) بالموضوع نفسه .

ومن رواد هـذه الحركة أيضا جورج مور (١٨٥٢ — ١٩٣٣) الذي عاش مدة بفرنسا وثقف الفرنسية وشغف بالرسم وبمدرسة الانطباعيين خاصة ، وبدا أثر بعض أعلام الفكر الفرنسي ولا سيما بلزاك واميـل زولا برواياتـه الأولى .

ويعتبر مور من دعائم حركة احيـاء الأدب الأرلندي ، وتبدو آراؤه بروايته (Esther Waters) التي كتبها عـام ١٨٩٤ وعدها النقاد خير ما كتب .

ولقد تهيأ له أن يسافر الى فلسطين ليجمـع بعض مواد كتابه عن السيد المسيح الذي طبعه عام ١٩١٦ . ولا بد أن نشير الى أن مور مـن كتاب السيرة الشخصية المبدعين ، فقـد كتب « اعترافات فتى » عـام ١٨٨٨ و « مذكرات حياتي الميتة » عام ١٩٠٦ .

الحكاية الغنائية [1]

يذهب بعض النقاد الى اشتقاق كلمة (Ballad) التي تعني الحكاية الغنائية من كلمة (Ballare) الايطالية التي تعني « الرقص » ، ولكن العلاقة بين الرقص والحكاية الغنائية ـ وان وجدت في بعض الأقطار ـ لا تعني الشمول الذي يبرر التشبث بهذا الاشتقاق .

ان الرقص أضاف ـ دون شك ـ بعض الألحان الى الحكايات الغنائية في بريطانية لأن هذين الفنين يلتقيان كثيرا ، الا أنه ليس ثمة دليل جازم على أن الرقص صحب الحكايات الغنائية هناك .

ان الحكايات الغنائية المنسوبة للقرن الرابع عشر تمثل أناشيد غنائية ، جانب الفردية فيها واضح، ويبدو أن القرن السادس عشر قد استعمل اللفظ استعمالا سائبا ، ولكن القرن السابع عشر خصصها فصارت تطلق على « كل أغنية عامة تغنى في الشوارع » .

ويبدو أن القرن الثامن عشر أضفى عليها صفة رئيسة

---

(١) Ballads

فصارت تعني كل « أغنية ذات عاطفة فياضة » ويشترط فيها أن تردد حكاية . ومهما يكن من شيء فان (الحكاية الغنائية) قد أصابها شيء من التحوير والتعديل ، خلال العصور ، حتى صارت تعني في العصر الحاضر « أغنية تقص قصة صورتها شعر بسيط يصلح للحن بسيط » .

ولم تكن نتاج زمن واحد أو شخص واحد ، فقد طمس ذكر مؤلفيها ـ اذا صح أنهم عرفوا في وقت من الأوقات ـ في طيات العصور الغابرة وفي منوال الحديث الشفوي (غير المكتوب) .

وكانت وساطة الحكاية الغنائية «كلمات تطلقها الأفواه» لا أسطرا تكتب أو تطبع بالمطبعة ، وليس لها صورة معلومة أو هيئة معلومة بل نجد الرواية الشفوية تزيد عليها أو تنقص منها .

ولقد تهيأ لبعض « الحكايات الغنائية » أن تسجل وتدون ولكن النقاد يعتقدون اعتقادا جازما أن ما دون يختلف حتما عن الأصل .

* * *

يكون موضوع الحكاية الغنائية عادة سير الملوك والأبطال والسيدات الشهيرات ونجد بعض الحكايات تتنوع موضوعا وتغرف من كل بحر ـ اذا صح التعبير ـ . فتتأرجح بين البطولة التي ذاع صيتها عن روبن هود

والمأساة وخيبة الحب كما في (مرغريت الجميلـة ووليم الظريف)[٢] والملهاة كما في (انهض واقفل الباب)[٣] .وتميل الحكاية الغنائية الـى الأسلوب البسيط عـادة وان كان بعضها معقدة العبارة والفكرة أحيانا .

وذهب بعض الشعراء في القرون المتأخرة الى استعمال صورة الحكاية الغنائية لموضوعات ليست من ميدانها كما فعل الشاعر الانكليزي كولـردج[٤] . ويبدو أن صـورة الحكاية الغنائية قـد شاعت شيوعا كبيرا في انكلترة في القرن الثامن عشر خاصة ، ويعـود الفضل بهـذا الـى بشب برسي[٥] ـ حامل لواء الحركة ـ الذي طبع كتابه الشهير « أطلال الشعر الانكليزي القديم » [٦] بثلاثة أجزاء عام ١٧٦٥ وضمنه مجموعة من الشعرالممتع ذي الموضوعات المتنوعة ، ويحوي مجموعة مـن الحكايات الغنائية التي عثر عليها بمخطوط يرجع عهده الـى القرن السابع عشر وقع له من أحد أصدقائه .

لقد استمر شيوع الحكاية الغنائية خلال القرن التاسع

---

(٢) Fair Margaret and Sweet William.

(٣) Get up and Bar the Door

(٤) The Rime of the Ancient Mariner

(٥) Bishop Percy

(٦) Reliques of Ancient English Poetry

عشر ونجد أثرها في بعض الشعراء العظام أمثال : سكت[٧] وكيتس[٨] وروستي[٩] من رواد الحركة الرومنسية .

* * *

ويجدر بنا أن نستذكر تعبيرا جديدا هو(Broadside Ballad) الذي صار يطلق على الحكاية الغنائية التي تطبع طبعا رخيصا على ورقة واحدة ــ كما هو الشأن اليوم ببعض البلدان العربية في الأغاني ــ وتباع في الأسواق أو في الاجتماعات العامة بثمن بخس . وهذا النوع من الحكايات الغنائية من تتاج من يصح أن يطلق عليهم اسم « شعرور » وهؤلاء هم الذين يبتغون الكسب قبل أن يتهيأ لهم النضج الفني ويطرقون موضوعات جذابة للصبيان والمراهقين . وقد ظلت هذه « الأغاني الرخيصة » تباع حتى ظهور الصحف اليومية التي قضت عليها .

---

(٧) Scott
(٨) Keats
(٩) Rossetti

القصص الحيواني [1]

هذا لون من القصص يرجع تأريخه الى العصور الوسطى ، ويصور خطر الحيوانات وطباعها ، ويوميء الى نقد الناس وأعمالهم ، وليس الحيوان الا وسيلة يتخذها الكاتب خوفا من الذين يندد بهم وبفعالهم من الطبقة الحاكمة خاصة .

ولعل قصة الثعلب والذئب[2] من أشهر القصص التي عرفها الانكليز بهذا الميدان ، وهي من النتاج الأدبي الذي طمس اسم مؤلفه وضيعته العصور ، ويسمى في اللغة الانكليزية (Anonymous Work) . والغريب أن الثعلب في القصص الحيواني ظل مدار الحيل وبطلها كما هو شأنه في القصص العربية ، ويعرف عند الغربيين باسم (الثعلب رينارد) (Reynard The Fox) وذاعت شهرته وأخباره في الآداب الانكليزية والالمانية والفرنسية .

وهناك مجموعة أشعار انحدرت عن القرن الثالث عشر

---

(١) Beast Epic

(٢) (The Fox (or Vox) and the Wolf

وعرفت باسم « أشعار في الحيوان » (The Bestiary) وتتخذ من خصائص الحيوانات وطباعها أداة لتلقين التعاليم الدينية .

وما من شك في أن القصص التي ضمها سفر التكوين قد حببت قصص الحيوانات الى القرون الوسطى التي عرفت أشعارا في الحيوان كثيرة تهيأ لها ابداع وأصالة .

الحِـوَار [1]

الحوار الفني حديث بين شخصين أو أكثر تضمه وحدة في الموضوع والأسلوب وله طابع عــام . وهذه عنــاصر لا تتوافر ــ الا نادرا ــ في الحــوار المألوف في الحياة اليومية .

وقد عرف الحوار وانتشر في العصور القديمة انتشارا لا يختلف عما هو عليه اليــوم . ولا شك في أنــه يعتمد اعتمادا كبيرا عــلى الأسلوب والموضوع ليحرز النجاح وتكبر قيمته الفنية . وشأن الحوار الناجح ــ شأن الفنون الجميلة ــ ألا ينفصل الأسلوب عن الموضوع .

استعمل الحوار كتاب كثيرون ذوو مكانــة عالية منذ القدم ، وتهيأ له أن يكون ركنا هاما من أركان الأدب . وبين الذيــن التزموه أرسطو وأفلاطــون وبول أرنست وهربرت ريد وغيرهم كثيرون .

لقد قال لاندور[2] : « ان أجود الكتاب بكل عصر من عصــور الأدب توسلوا بالحــوار في كتابتهم » . ولا بد أن

---

(١) Dialogue

(٢) Landor, Walter Savage (1775 - 1864)

نذكر أن لاندور نفسه نهض بالحوار كثـيرا وأضفى عـلى صورته رونقا ، وخاصة ما سمى « الأحاديث المتخلية »[٣] .

والحوار اليوم مدين لمحطات البث الاذاعي ، لأنه وساطة مواكبة لطبيعة الاذاعـة . ومن يتتبع الدراسات التـي عنيت بالحوار وأهميته في التمثيل والقصص الخيالية يجدها شاملة متنوعة ، ولكن الأصـول التي يمكـن بوساطتها أن ننهض بالحوار الفنـي لم يتهيأ لها شيء مـن هذا ، ولم تلق عناية كبيرة . ولعل سبب هذا يرجع الى سعة ميدان الحوار وخصب ماضيه ، فاكتفى الكتاب والنقاد بتصنيفه ودراسة ما أسداه بعض الأفراد حسب .

ان النهج السقراطي خير ما نعرف من صور الحوار ، وهو حديث يقوم على السؤال والجواب . والرجـل المسؤول هو الذي يبدع الآراء والفكر التـي يضعها السائل دونه . وقد وصف حـوار أفلاطون بأنـه تمثيليات فلسفية لأن طريقـة التساؤل السقراطيـة ـ التـي تبناها أفلاطون ـ تثـير موضوعات تأملية فلسفية .

وتختلف طريقـة أرسطو في الحوار عن طريقة أفلاطون بأنها تعليمية محضة ولا تبدو عليها الروح التمثيلية كثيرا .

ولا بد أن نشير الى أن اليونان استعملوا الحوار لغرض تعليمي ولذلـك جردوه مما خصوا به المسرحية والحوار

---

(٣) Imaginary Conversations

المسرحي .

وكانت طريقة لوشيان[٤] في الحوار تهدف الى السخرية والاضحاك . وتعتمد عـلى البلاغة وفنونها ، ولذلك ظلت قدرته على التفنن بالحديث مـن أهم الركائز التي اعتمد عليها بحواره الذي اعتبره النقـاد مثلا يحتذى ، وهيأ له مكانة بين المشاهير من ذوي الأساليب المعروفة بالحوار .

ولعل أهم ما أسداه لوشيان للحوار هو استخدامه اياه بالملهاة وبالموضوعات ذات الجو المرح ، وبهذا يعتبر مبدع عهد جديد بتاريـخ الحوار لأن منواله غلب عليـه التزام الموضوعات الجدية والفلسفية .

واستطاع لاندور أن يبدع طريقة أخرى في الحوار اذ اعتمد عـلى ابراز بطله المحاور واظهـار شخصيته ، ولم يكتف بالنقاش والتحاور المألوف . وكان أسلوب الحوار قريبا مما نعرف في المسرحية لكنـه لم ينزلق اليها ، وبقي حاذقا بتنويع حوار شخصياته وجعله واقعيا دقيقا لا يوغل بالتفاصيل بـل يجبهك بالحقائق بلباقة وحسن تصرف ، ولذلك ظل يعتبر حتى اليوم اماما من أئمة الحوار .

---

(٤) Lucian

الخاتِمَة [1]

أطلق اليونانيون لفظة (Epilogue) على خاتمة الخطبة وأصبحت هـذه الكلمة تعني ملحقا أو تذييلا لعمل أدبي لا سيما المسرحية الشعرية .

لقد استخدم شكسبير الخاتمة في « حلم منتصف ليلة صيف » وصارت وظيفتها تقديـم عذر عما في المسرحيـة الملحقـة بها مـن نواقص ، أو استغـلال طبيعة النظارة وتشجيعها .

وليست الخاتمة جزءا مـن المسرحية التـي ألصقت بها وانما هي مستقلة قائمـة بنفسها ، وأجدر بها أن تحسب تعليقا عليها . وقد تضيف معنى أو تتم ما تركته المسرحية مـن نهايـة مبتورة أو ناقصـة . فتخبرنا مثلا عما حدث للشخوص بعد أن انتهت المسرحية ــ وان كان هذا نادرا ــ وهذه خير سبيل لصرف النظارة .

لم يمارس الأقدمون ــ في المسرحية ــ هذه الخاتمة غير أن قائد الجوقة أواخر المتكلمين كان يتقدم قائلا : « وداعا

---

(١) Epilogue

أيها المواطنون نأمل أنكم تمتعتم » . ويقـول أحيانا كلمة واحدة هي « صفقوا » .

وظلت هذه الخاتمة مقصورة على انكلترة ـ في النتاج الأدبي ـ وان لم يكن لهـا أثر في المسرحيات الانكليزية الأولى . فهي نادرة عنـد شكسبير ولكـن بن جونسون جعلها سمة خاصة بمسرحياته ، ويقال عنه انه جعل استعمال الخاتمة تقليدا مألوفا ، وظلت عنده تخـدم غرضين : اما ذكر مزايا المسرحية أو الدفاع عما بها من عيوب .

ويعتبر عهد اعادة الملكية[٢] من أدوار ازدهار هذا اللون الأدبي وقلما خلت المسرحية سواء الجديـة أم الهزلية في مسارح لندن من افتتاح أو خاتمة منذ عـام ١٦٦٠ م الى أن انحطت المسرحية أيام (الملكة آن) .

وكانت الخواتم كلها منظومة دون استثناء وان ألحقت بمسرحيات منثورة . ويبدو أن الغرض من هذا اشاعة شيء من الكمال الأدبي في المسرحية .. فقد كانت هذه الخواتم مقالات متقنة أو هجاء . وعالجت السياسة والنقد والعادات والسلوك ولم تتقيد بموضوع الرسالة التي تضمها .

وتعتبر خواتم درايدن تطبيقات رائعة في البحث الأدبي ، وقد أصبح من عادة الكتاب أن يطلبوا من أصدقائهم نظم هذه الخواتم لهم وقـد يسأل الناشر شاعرا معروفا ليرفده

---

(٢) The Restoration عام ١٦٦٠ عندما توج شارل الثاني ملكا على انكلترة

بالخاتمة لقاء أجر .

ولا بد أن نذكر أن الخاتمة غدت ذات أهمية كبـيرة ، فنجد شاعرا مثل درايدن ينشر مقالة في الشعر المسرحي في العصر الأخير أو (دفاع عن الخاتمة)[٣] عام ١٦٧٢ ويحاول أن يدافع عن الملحق الذي كتبه لـ (فتح غرناطة)[٤] .

---

(٣) The Defense of the Epilogue or An Essaey on Poetry of the Last Age.

(٤) The Conquest of Granada

الداديّة [1]

الدادية حركة فنية بدأت بمدينة زوريخ السويسرية عام ١٩١٦ ، وكان ظهورها نتيجة لما أحدثته الحرب من ويلات ومحن . لذلك ظلت هذه الحركة تقاوم الحرب وتشنع بالحضارة التي أدت اليها . وقد ازدادت أهميتها عندما توسعت رقعتها وشملت برلين وباريس ونيويورك وصارت تجهر بنقدها ونبذها التقاليد المألوفة . وتبع هذه المدرسة فنانون مشاهير مثل مان ري [2] وماكس أرنست [3] ومارسل دو شامب [4] ، واستطاعوا أن يكونوا منوالا ونهجا فنيا يشجع الابداع الذاتي والتعبير عن الفردية بأية صورة يراها الفنان . ولذلك كثرت طرائق التعبير فيها وانحدرت هذه كلها الى المدرسة التي سميت فوق الطبيعة عند ما خمدت الدادية وطمس ذكرها بعد عام ١٩٢٢ .

---

(١) **Dadism**
(٢) **Man Ray**
(٣) **Max Ernst**
(٤) **Marcel Duchamp**

الشعر الرعائي[1]

الشعر الرعائي ما وصف حياة الرعاة وحبهم وأحزانهم وآمالهم وغناءهم ، ويشك بعض المؤرخين فيما اذا كان هذا الشعر قد التقى بحياة الرعاة حقا أو صدر عنهم منه شيء . ويعتبر ثيوكريتس[2] أول من جود بهذا اللون الشعري . فنرى في مجموعته التي تسمى بوكولكس[3] أثـرا لفـن ذي أصول ناضجة ، ولا شك في أنـه أسبغ على قصائده روعة وأسهب بوصف الحياة الريفية أكثر مـن أي شاعر يوناني آخر ولو أنـه كـان يتخذ الرعاة أحيـانا مدارا لموضوعات وأحداث أخرى بعيـدة عن المألوف في هـذا الميدان .

ولم يتهيأ لهذا الشعر شيء كبير من الأصالة والابداع عنـد موسجس وبيون اللذيـن يعتبرهما النقـاد خليفتي ثيوكريتس وظل هذا الشعر يتعثر حتى استطاع فرجل في أناشيده[4] أن يبدع حبكا ووصفا فعده النقاد بمقـام ثيوكريتس . وقـد مزج شعره ببعض الأحداث التي حفل

---

(١) Pastoral Poetry
(٢) Theocritus
(٣) Bucolics
(٤) Eclogues

بها زمانه وأضفى على أناشيده صفات سامية واتخذ العالم مسرحه دون أن يحد نفسه ببقعة ضيقة منـه . وتتضمن بعض أناشيده حوارا أضـاف صفة جديـدة لهـذا الفن الشعري . ولا نغالي اذا قلنا ان فرجيل كسب من الشهـرة عند اللاتينيين ما لم يتهيأ لثيوكريتس عند الاغريق .

لقـد ظهر الشعر الرعائي في القرون الوسطى وفي عصر النهضة وان غلبت عليـه الصنعة ورأينا الشعراء الذيـن نظموه يترسمون المثـل « الكلاسيه » فيقلدونها ، وقـد باعدهم هذا عـن الأصالة وصير شعرهم فجا تغلب عليـه الصنعة .

ولم يخل أدب أوربي مـن هـذا اللون الشعري وغدا موضوعا حبيبا الى النفوس ولا سيما في القرون الوسطى التي اعتبرت حياة مثالية للأمن والحب والطمأنينة .

استعمل بوكاشيو الشعر والنثر بروايته الرعائية اميتو[٥] ولكنه لم يكن ذا أثر كبير شأن سانازارو[٦] الذي كتب أركاديا عام ١٥٠٤ ، واعتبرها النقاد أول رواية رعائية أثرت في عصر النهضة . فقد كانت قصائدها الاثنتا عشرة ــ التي يتخللها النثر رابطا بينها ــ مثالا احتذاه أكثر الذين كتبوا بهذا الموضـوع . فنجد مونت ماير [٧] ينهج النهج نفسه بروايته ديانا[٨] التي أصبحت هذه مثالا من النتاج الرعائي

---

(٥) Ameto
(٦) Sannazaro
(٧) Montemayor
(٨) Diana

شأن أركاديا التـــي كتبها السير فليب سدني وغلب عليها النثر لأن الشعر فيها ثانوي ، شأن رواية فلتجـــر[٩] التي تسمى الراعية المخلصة ورواية جونسون الراعي الحزين[١٠]

لقد وصلت حركة الشعر الرعائي الى ألمانية بعـــد فترة متأخرة فنجد أوبتز يترجم أركاديا سدني عام ١٦٢٩ .

ويبـــدو أن فريقا مـــن الشعراء الانكليز استطاعوا أن ينظموا بعض الأناشيد الريفية الكاملة التي انتهجت الخطة الحقيقية ولم تتخلل رواية أو قصة بـــل كانت منفردة كما رأينا بقصائد باركلي عام ١٥١٦[١١] وبقصيدة سبنسر الشهيرة « تقويم الرعاة »[١٢] التـــي تضمنت اثنتي عشرة أنشودة وتخللتها تعليقات دينية واجتماعية ومثل من الحياة الريفية وبعض صورها وكذلك بعض الرثاء . وقد أثر جانب الرثاء هذا في الشعر الذي جاء بعد سبنسر اذ صار يتضمن بجانب الصور المألوفة رثاء .

ولعل أبرع مـــن استعمل هـــذا اللون ملتن بقصيدته لسيداس[١٣] وشلي بقصيدته أدونيس[١٤] .

لم يعد الشعر الرعائي بعد القرن الثامن عشر ذا أهمية ، فقد توارى وظهرت ألوان جديدة تصف حياة الريف بعيدة عن مألوف هذا الفن .

---

(٩) Flitcher : Faithful Shepherdess

(١٠) Johnson : Sad Shepherd

(١١) Barclay

(١٢) Spenser : Shepherds Calender

(١٣) Milton : Lycidas

(١٤) Shelly : Adonais

المذهب الرمزي [1]

نشأ المذهب الرمزي وترعرع في فرنسا وتهيأ له هناك أن يدخل في ميدان المذاهب الأدبية المعروفة . وقد أطلق هذا الاسم الكاتب جان مورياس[2] بعدد جريدة Le Figaro الصادر في الثامن عشر من شهر أيلول عام ١٨٨٦ . وتبني بدلا من المصطلح المعروف بالتدهورية[3] ، الذي أشاعه خصوم المذهب الواقعي وجماعة البرناسيين[4] .

لقد ذهب أنصار المذهب الرمزي وخاصة الشباب منهم الى عدم التفريق بين العالم الخارجي والعالم الداخلي ، وقالوا بمفاهيم ميتافيزيقية فيما يخص الكون ولكنهم كانوا مثاليين لافتتانهم بالجمال وتعلقهم به الى حد العبادة .

---

(١) Symbolism

(٢) Jean Moreas

(٣) Decadent

(٤) Parnassians هذا اسم أطلق على بعض الشعراء الفرنسيين الذين أسهموا بالمجموعة الشعرية التي صدرت بثلاثة اقسام عام ١٨٦٦ و١٨٧٦ واسمها Le Parnaisse Contemporain ويعتبر (بودلير وفارلين ومالا) من أشهر البرناسيين . وكان انصار هذا المذهب من دعاة التمسك بقواعد النظم وصوره الموروثة متأثرين بالمدرسة التي سميت (مدرسة الفن للفن) وقد حارب (الرمزيون) هذه القواعد وانصارها .

وكانوا أشبه بالصوفيين أحيانا عنـد الحديث عن الواقع المتسامي الذي هو فوق ما يدركه الانسان السوي . وقد طلع بعض الرمزيين الذين تأثروا بأدب بودلير ـ ولا سيما بقصيدته الشهيرة مراسلات [٥] بنظرية ادراك الواقع خلال الحواس كلها ، وطريقة التعبير عنه في الفن يجب أن يمتزج بالمدركات البصرية والصوتية والذوقية والشمية . ومع أن مضمون هذه الآراء الطامحة التي جاء بها الرمزيون أن يقام الفن عـلى مستوى مـن الشعـور أعمق مما ذهب اليـه الرومنسيون والكلاسيون ، فان علاقة هذه الآراء ـ دون شك ـ بالدراسات المعاصرة التـي نهض بها فرويد وغيره حول « الوعي الباطني » تكاد تكون معدومة .

يجب أن نفرق بين الرمزية والرومنسية[٦] الجديدة التي ظهرت في الفترة نفسها . فالرومنسية الجديدة ـ وان نحت نحو الرمزية بالتزامها الغلو في تقدير الجمال ـ لم تذهب الى ما يسمى وحدة العالمين : الداخلي والخارجـي ، ولم تمس فردية الشاعر .

ان للمذهب الرمزي وشائج وية بالمذهب التعبيـري[٧] الذي تقدم كثيرا عندما تبناه الألمان .

لقد حـاول الرمزيون مزج الشعر بالموسيقى ، وهـذا

---

(٥) Correspondances
(٦) Neo-Romanticism
(٧) Expressionism

أسلمهم الى أن ينتجوا صورا شعرية كثيرة ، ومما لا يقبل الشك ان الشعر الذي نحا نحو الرمزية لا يبدو سهل الفهم وقد يكون معقدا مغلقا ، وذلك لأن الشاعر صار يستخدم رموزا وصورا لا يدركها القارىء ، وقد يصعب عليه فهمها الا بجهد ومشقة .

ان الرمزيين من أنصار المذهب القائل بتبني لغة للشعر جديدة وعدم تأييد الذين يقيسون الأخيلة الشعرية بالمقاييس المنطقية أو يخضعون الشعر للتحليل والتعليل .

لقد أثرت الرمزية في الأدبين الفرنسي والبلجيكي تأثيرا بالغا بين ١٨٨٥ ـ ١٩٠٥ عند ما قام بعض الشعراء في فرنسا وبلجيكا يتبارون . وقد تخطت الرمزية حدود فرنسا الى ألمانية وبرز فيها الشاعر الشهير رلكه[٨] الذي ابتدع الجوانب الصوفية الرمزية وعرف بها .

ومع أن أوربا عاشت فترة مع الرمزية فان انكلترة لم تحتضنها حتى شغف بها الشاعر الشهير و . ب . ييتس .

ومما لا شك فيه أن انكلترة لم ترغب في هذا المذهب الذي اكتسح أوربا والتزمه الشعراء والكتاب العظام .ومما لا شك فيه أيضا أن من سيئات هذا المذهب تصييره الشعر بعيدا عن الجماهير وعما تدرك .

---

(٨) Rilke

رواد الإصلاح [1]

هذا اصطلاح أطلق في ميدان النقد الأدبي خاصة ووصف به نفر من شعراء الفترة الاليزابيثية في الأدب الانكليزي منهم السير فيليب سدني وجابريل هارفي وأدموند سبنسر وغيرهم ممن حاولوا اصلاح بحور الشعر الانكليزي وقوافيه .

ويؤخذ على بعض رواد هذه الحركة الأدبية أنهم ظلوا دعاة لقواعد ومبادىء لم يطبقوها وبقيت الدعوة تفتقر الى الجانب التطبيقي .

وقد اشتق هذا الاسم من لفظة (Areopagus) اليونانية التي تعني (تل عطارد)[2] في أثينا القديمة حيث كان المجلس القضائي الأعلى يعقد جلساته ، وقد يطلق اللفظ على (المجلس نفسه) أو (المحكمة) .

---

(١) Aeropagus

(٢) Hill of Ares or Mars

المذهب الرومنسي [1]

يقرن هذا الاصطلاح – أول ما يسمع – بالحركة الأدبية في بريطانية ابان القرن الثامن عشر . والحق أن صفات الرومنسية ظاهرة بكل عصر وان لم يقصدها الأدباء . فنجد صفاتها عند هومير ومعاصريه كما نجد صفات الكلاسيه عند بعض أدباء اليوم .

يرى بعض النقاد أن الحركة الرومنسية بدأت بانكلترة بموت الشاعر الشهير ولتر سكوت عام ١٨٣٢ ويرى البعض الآخر أنها بدأت قبل هذا بأعوام . ومما لا شك فيه أن

---

(١) (Romanticism) تبنى الاستاذ احمد حسن الزيات (في اصول الادب ج ١ ص ١١٢) كلمة ابتداع للرومنسية واتباع للكلاسية وقد تبنى الاستاذ احمد أمين والدكتور زكي نجيب محمود هذين الاصطلاحين ايضا بكتابهما : قصة الادب في العالم ج ٣ ص ١ .

ونحن لا نرى هذه التسمية صائبة لان الكلاسية لم تعدم الابتداع الذي خصت به الرومنسية كما انها ليست اتباعا مطلقا . فليست الصفتان وقفا على حركة دون سواها بل نجدهما في نتاج اساطين كل من المدرستين .

انظر ما تبناه الاستاذ جرجس فتح الله في : تراث الاسلام ج ٢ ص ٣٠٦ – المطبعة العصرية – الموصل عام ١٩٥٤

هذه الفترة عرفت أساطير الرومنسية أمثـال : وردزورث وكولودج وبايرن وشلي وكيتس ووالتر سكوت .

* * *

اشتقت لفظة الرومنسية من اللغة الرومنسية التـي ظهرت الى الوجود من اختـلاط اللغة اللاتينية كما كان يتكلمها الايطاليون بلغة البرابرة الشماليين الذيـن غزوا القطر وكان لهذه اللغة صور من التعبير كثيرة يبـدو أنها بلغت كمالها بمقاطعـة (بروفنس) جنوبـي فرنسا حيث أصبحت أداة تعبير عن أدب معروف كسب شهرة ولا سيما في القرنين الحادي عشر والثاني عشر .

لقد كان التأليف الذي عرفته هذه اللغة الدارجة قصصا وحكايات غنائيـة Ballads عنيت بوصف الأطفـال والاخلاص للمسيحية وبأعمال البطولة والحب والتفاني في سبيله . وهناك صفة أخرى لهذا الأدب هي تتبعه الأحداث الغريبة الخارقة ، ومن هنا أصبحت لفظة « رومنس » التي أطلقت على اللغة التي كتبت بها هذه المؤلفات تطلق على صفة المادة التي عنيت بها ، مناقضة بهذا المعنى ما شاع عن الكتب التي كتبت باللغة اللاتينية وسميت الكلاسية .

لقـد اعتبر رواد الأدب في القرن الثامن عشر النماذج الكلاسية الموروثة أصـولا تستحق أن تحتذى ، ولذلك أطلق على هذا القرن خاصة اسم (العصر الأغسطسي) ، واعتبرت أصول أدب القرون الوسطى وفنها بربرية لا فرق

بينها وبين أساليب النظم والتعبير في القرون المظلمة التي لا تستحق أن يعنى بها المثقف . ولقد طرأ تغير واضح في القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر على اتجـاه الحياة الفكرية ونمطها وأثرت هذه الثورة الفكرية ــ التي سميت بالحركة الرومنسية ــ في كـل نواحي الفكر وفي وسائل النظم وطرائق التعبير الفنية والأدبيـة . فقد أظهرت هذه المدرسة منـذ بعثها مقاومة عنيفة منظمة للأصول الأدبية السائدة وان تفاوتت هذه المقاومة ومداها بالنسبة للأقطار الأوربية . فكانت في فرنسا وألمانية أعنف منها في انكلترة ، وانبرى كثير من الأعلام يسهمون بتأييد الحركة الجديدة ويناضلون ضد المفـاهيم الموروثة ، فغوته يرى أن الفرق بين الاتجاه الجديد والاتجاه القديم كالفرق بـين السليم والسقيم . ولعل فردريك شليغل أول من استعمل لفظتي الكلاسية والرومنسية لتناقض احداهما الاخـرى . وراح الكتاب منذ ذلك الحين يكثرون القول في الفرق بين منوال المذهبين وصفات كـل منهما ولا سيما في الأدب والفن . ويبدو أن أبرز هـذه الفروق كما ذكرها أصحاب الآراء المختلفة هي :

١ ــ ان صفات الكلاسية الرئيسية هي البساطة وشرف المعنى وعدم ابتعاده عن الهدف والكمال . فليس هناك من دليل يشير الى عدم وجـود ترابط بـين الفكرة ووساطة التعبير . وليس من يستطيع أن يعيب عليها بأن الفكرة لم

تستوعب كلها وان هناك أشياء قد فاتها التعبير ولم يدركها. ومن نتائج هذا المنوال أننا لا نرى شخصية الأديب لأنها تمتزج بنتاجه وهو لا يرينا موقفه من الموضوع أو كفاحه العاطفي والفكري . ولكن الرومنسي ــ على النقيض من هذا ــ يطل عليك خــلال تعبيره ويتوخى أن يأتيك بآرائه وشخصيته وآلامه وآماله ومثله .

٢ ــ ما دامت الرومنسية تعنـــى بالتعبير عما هو غريب وغامض في حياة الأدب فانها على وفاق مع القرون الوسطى التي امتلأت بالأشياء الغريبة والمفارقات الروحيــة وحب المخاطر وأعمال الفروسية والبطولة ، وما دامت الكلاسية تحاول أن تعبر عن فكرة الجمال في صورة محدودة فانها استطاعت أن تضع بعض القواعد التي تحتذى .

٣ ــ ان الرومنسية تحاول التعبير عن النواحي الذاتية وهي لذلك مصدر لكــل ما هو ذاتي فردي ، وصـــارت تحارب فكرة وضع قواعد ميكانيكية تفرض على الأديب وتصير نتاجــه خاضعا لأنماط معلومــة . فالفن كما يرى الرومنسي يجب أن ينبع مــن الروح الحرة التـــي تعني بالتعبير الحر الطليق .

« ان روح الشاعر لا تقبل قانونا سوى قانونها » كما قال شليغل المفكر الالماني الشهير . وميزة الرومنسية أن تسودها الصورة الغنائية وأن تعبر عن الفردية وقلما تعنى بالأسلوب المنطقي والحقائق العلمية .

رواية البيكارسك [1]

أو رواية الخادم

أطلق هذا الاصطلاح في الأصل على العلاقة القائمة بين الخادم وسيده ، فهو في الحقيقة يمثل سير الخدم أو هذه الانسانية المتردية من حيـاة الخدم السيئة الخاطئة الممثلة بسلسلة من الحالات الخاصة .

والكلمة Picaro اسبانية ولعلها مشتقة من Picard وقد تكون تحريفا لكلمة (فقير) العربية لما بينهما من علاقة معنى ومبنى . وقـد أبدعها الكاتب الاسباني اليمان[2] ١٥٩٩ ــ ١٦٠٤ في قصة له ، فصور فيها البيكارو نموذجا للانسانية الخاطئـة ، على أن هـذا الخادم وان تردى في الخطأ ربما اختـار لنفسه يوما ما سبيـلا تنقذه . وتعتبر رواية توماس ناش[3] التي تسمى المسافر النكد[4] أول رواية من هذا اللون في الأدب الانكليزي .

ويجدر ان نذكر ان كلمة البيكارسك تطلق في الصحافة الحديثة على قصص الحياة الواطئة التي يعوزها التهذيب واللياقة وهذا استعمال لا نظنه موفقا .

---

(١) Picaresque Novel

(٢) Aleman واسم القصة Guzman de Alfarache

(٣) Thomas Nash

(٤) The Unfortunate Traveller or Life of Jack Wilton

الأسطورة [1]

« الأسطورة » اصطلاح أدبي أطلق أصلا على كل حكاية خيالية ، وقد قصر حديثا على القصص القصيرة ـ سواء كانت شعرا أم نثرا ـ التي تقصد تلقين فضيلة أو صفة حميدة بطريقة جميلة مشوقة .

ان عماد الأساطير أناس خياليون وحيوانات وأشياء غير حية من الطبيعة ، كل يقص قصته ويكون مدار الحديث ومحوره . وتتألف الأساطير عادة من قسمين رئيسين .. يشمل الأول عرضا رمزيا للأحداث .. والثاني نصحا وارشادا وهذا ما يسمى المدار الخلقي في الأسطورة ويعتبر من أسبابها التي لا غنى عنها .

وقد قسم هردر[2] الأساطير الى ثلاثة أصناف :

١ ـ أساطير نظرية ـ وهي التي تقصد نقل نوع من المعرفة أو المعلومات كأن يكون مظهر من مظاهر الطبيعة مثلا محورا يصور قوانين الكون عامة .

٢ ـ أساطير خلقية ـ وهي التي تشمل قواعد لتهذيب الارادة وتربيتها . اننا لا نتعلم تنظيم ارادتنا من الحيوان

---

(١) Fable

(٢) Herder

الذي قد يتخذ مدار الأسطورة مثلا كما لا تتعلم الأخلاق منه ، ولكن الاسطورة تجمع الينا الطبيعة وما فيها من حيوان ونبات وانسان (عائلة الطبيعة) وترسمها منسجمة متفاعلة مع بعضها لتؤمن خيرها وسعادتها .

٣ ــ أساطير القدر والمصير ــ وفيها نجد الترابط بين الأحداث أو ما يسمى قدرا أو حظا ونرى الأشياء تتعاقب الواحد بعد الآخر وكأن تعاقبها هذا أمر مقدر تسوقه قوة عليا .

« فالعقاب في احدى الأساطير ــ مثلا ــ يختلس قطعة فحم من مذبح الكنيسة وهذا الفحم يحدث حريقا بعشه فتصبح فراخه ــ ولم ينبت ريشها بعد ــ فريسة لتلك التي اغتصب هذا العقاب منها صغارها قبلا » .

يذهب المؤرخون الى أن أساطير الشرق أقدم ما وصل في هذا الميدان .. كأساطير بيدبا (Baidpa) عند الهنود وأساطير لقمان عند العرب .

وقد عرف اليونانيون الاساطير وفنها . ويعتبر ايسوب[٣] أقدم كتابها عندهم ، وقد عاش في القرنين الخامس والسادس قبل الميلاد وله مجموعة باسم القصص الحيوانية كان يقصها في المهرجانات والاحتفالات العامة السنوية ليسلي الزوار والمتفرجين . وكانت هذه الأساطير بسيطة

---

(٣) Aesop

لا فن فيها ولا صنعة ، وتعنى بالحكـايـة والسرد عناية مباشرة .

ويعتبر فايدرس[٤] أشهر الأعـلام الرومانيين بميـدان الأسطورة وقد ترسم خطى ايسوب ونسج على منواله .

وقد عرف تاريـخ الأدب الألماني بعض المبرزين بهـذا الفن .. يعتبر ستركر[٥] الذي عاش في النصف الأول من القرن الثالث عشر أولهم ، ويجدر أن نذكر بونر[٦] الذي عاش بنهاية القرن الرابع عشر ولسنغ[٧] الذي عاش بعد قرنين وأبدع ابداعا لا يجارى .

وظهر في القرن السادس عشر شاعران هما لافونتين[٨] الفرنسي الذي استطاع أن يجعل الأساطير وسيلة ناجحة لتربية العقل وتهذيب النفس . وجون غي[٩] الذي جود ستا وستين أسطورة أحرز بها مكانة لا تقل عن لافونتين الذي يعتبر شيخه ودليله .

---

(٤) Phaedrus
(٥) Stricker
(٦) Boner
(٧) Lessing
(٨) La Fontaine
(٩) John Gay

الأسلوب الساخر [1]

أو برلسك

يراد به كل نتاج يعمد الى كتابة موضوع جدي بمنوال ساخر وذلك بالمبالغة أو الغلو بالتصوير والعرض .

ومع أن لفظتي (Burlesque) و (Parody) قد تترادفان فان الفرق بيّن بينهما . فلفظة Parody تستعمل استعمالا خاصا كتقليد أسلوب كاتب معين مثلا للاضحاك عليه .

وهناك لفظة أخرى تستعمل بميدان الرسم والأدب هي كاركاتور[2] ونقصد بها الاضحاك بالمفارقات .

ومن الكتب الشهيرة التي عمدت الى السخرية كتاب جوسر[3] : قوافي السيد ثوباس[4] والفصول الأولى لرواية فيلدنغ [5] التي تسمى جوزيف أندروس[6] التي سخرت برجاردسن[7] وكتابه باميلا[8] . ولعل أشهر الشعراء الهزائين كاننغ[9] ولويس كارول[10] .

---

(١) Burlesque
(٢) Caricature
(٣) Chaucer
(٤) Rime of Sir Thopas
(٥) Fielding
(٦) Joseph Andrews
(٧) Richardson
(٨) Pamela
(٩) Canning
(١٠) Lewis Caroll

السّيرة [1]

ترى الموسوعة الأميركية أن كارلايل وضع أخصر حد للسيرة وأشمله بقوله : « السيرة حياة الانسان » .

ان اللفظـة الانجليزيـة للسيره مشتقة مـن كلمتـين يونانيتين تعنيان (كتب حياة)[2] ، وقد عنى المؤرخون والأدباء بتناول حياة الأشخاص والامم ، وللعرب في هذا الميدان نصيب وافر . ولعل من الصواب أن ندعي أن فكرة التاريخ عندهم تمثلت بفكرة السيرة قرونا عديـدة . وقد يكون من نافلة القول أن نذكر أن السير التي يكتبها أفراد الأسرة ، عن ذوي قرباهم قلما تكون حيادية ، كما حدث لسيرة السير توماس مور[3] الشاعر الانكليزي الشهير التي كتبها صهره وليم روبر[4] ولسيرة الشاعر السير ولتر سكوت[5] التي كتبها صهره أيضا جون لوك هارت[6] .

ويرى أكثر النقاد الانكليز أن خير سيرة عرفها الأدب

---

(١) Biography

(٢) Bios تعني (حياة) و (Grophé) تعني (كتب)

(٣) Sir Thomas More

(٤) William Roper

(٥) Sir Walter Scott

(٦) John Lockhart

الانكليزي هي « حياة صموئيل جونسون »[٧] التي كتبها بوزول ويعتبرونها مـن الأمثلة النادرة في كتابة السير . ويبدو أن طبيعة علاقة بوزول بصموئيل وملازمتـه ايـاه ما يقرب من احدى وعشرين سنة هيأت له مادة قد لا تتهيأ لغيره .

ومما لا شك فيـه ، أن العصـور المختلفـة في الأدب الانكليزي قـد انمازت بصفـات متفاوتة لصورة السيرة ومنوالها .

ويمكن أن يقال ان تاريـخ السيرة ، كما ، نفهمها حديث، فالأدب الانكليزي مثلا لم يعرف سيرة لشكسبير الشاعر العظيم الا بعـد ما يقرب من قرن مضى عـلى وفاته في الدراسة التي كتبها نيكولاس راو[٨] عام ١٧٠٩ . وهذا يشير الى أن سيرا قليلة ظهرت قبل القرن الثامن عشر . ومما لا شك فيه ، أن الديمقراطية صيرت حياة الرجال ذات قيمة أدبية تستحق الدرس والتسجيل ، بعد أن كانت العنايةوقفا علـى سير الملوك والأمراء ، ولهذا شهدت القرون الثلاثة الماضية عددا من السير لا يحصى ، ولا تنكر أصالة بعضها وابداعها الفني .

تختلف أهداف كتاب السير اختلافا كبيرا . فنجد أكثر

---

(٧) James Boswell : Life of Samuel Johnson

(٨) Nicholas Rowe

كتاب السير أواخر القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر ـ اذا استثنينا سيرة صموئيل جونسون ـ يمجدون صاحب السيرة ويصيرونه مثالا لايجارى للبطولة أو احدى الصفات النبيلة .

وقـد شهدت السيرة في القرن التاسع عشر تحولا اذ اعتبرت من صنع الفرد نفسه ، لأنها جزء من حياته الخاصة .

وليس للكاتب أو الجمهـور حق في التعرف عليها أو كشفها وتدوينها . ولكن هذا الرأي لم يسد طويلا ،فسرعان ما طمس في مطلـع القرن العشرين وصارت السيرة تضم أحداثا قد لا يقع عليها غير خاصة الخاصة ، وحفلت بكل حدث ، جليلا كام أم تافها ، وبكل عمل شريف وحقير .

ويعتبر الكاتب الانكليزي الشهير ستريجي (١٨٨٠ ـ ١٩٣٢)[٩] مبدع السيرة الحديثة ، وقد فصل نهجه بمقدمة كتابه المعروف (مشاهير من العصر الفكتوري)[١٠] الذي ظهر عام ١٩١٨ ، وحمل حملة شعواء على منوال السيرة التقليدي الذي يحفل بالمدح والرياء أحيانا ، وبالتمجيـد والاعظام الكاذب . وذهب الى أنه سيكتب بعيدا عن هذه الروح وسيظل علميا في تتبع أحداث ذوي السيرة وتحليلها. وقد اعتبر نهجه بين ما يستحق أن يجارى .

---

(٩) Lytton Strachery

(١٠) Eminent Victorians

وهناك أساليب أدبية تقرب من السيرة نهجا ، ولها أسماء خاصة كالمذكرات[11] والسيرة الشخصية التي يكتبها المرء نفسه .

---

(١١) من هذه الاسماء Self-portraitures, Autobiography, Journals

شاعر البلاط (أو أمير الشعراء) [1]

يطلق هـذا الاصطلاح على الشعراء الذيـن يختارون ليلازموا الملك ، أو على الذين يستحقون أن يكونوا كذلك أحيانا .

وقد عرف الأديب الانكليزي في عصوره المختلفة شعراء للملوك سجلـوا مفاخرهـم وذكروا المناسبات الجليلـة بحياتهم . ومنحتهم الدولة رواتب وهبات . وبـين هؤلاء الشعراء الذيـن صحبوا الملوك وخلـدوا مآثرهم فحول الشعراء الذيـن عرفهـم الأدب الانكليزي . ويعتبـر بن جونسون[2] المتوفي عام ١٦٣٧ أول شعراء البلاط ، وجاء بعده وليم دافينانت[3] وكان كلاهما من الفحول ولقبا شاعرَي البلاط وان لم يعينا وفق المراسيم المألوفة .

وبدأ التعيين رسميا بجون درايدن[4] عام ١٦٧٠ الذي ظل بمنصبه حتى تغير الوضع السياسي بانكلترة عنـد مجيء ملك بروتستانتي اليها وطرد عام ١٦٨٩ .

---

(١) Poet Laureate
(٢) Ben Jonson
(٣) William Davenant
(٤) John Dryden

واليك أشهر أمراء الشعر أو شعراء البلاط حسب زمنهم:
توماس[٥] شادول (١٦٨٩) وناهوم[٦] تيت (١٦٩٢)
ووليم وردزورث[٧] (١٨٤٣) وألفرد تنسن[٨] (١٨٥٠) .
وقيل أن توماس غراي[٩] وسير ولترسكوت[١٠] قد أبيــا
قبول هذا المنصب .

---

(٥) Thomas Shadwell
(٦) Nahum Tate
(٧) William Wodsworth
(٨) Alfred Tennyson
(٩) Thomas Gray
(١٠) Sir Walter Scott

مَدرَسة الشِّعر العَاميّ [1]

استعمل هـذا المصطلح الأسكتلنديون ليسخروا بزمرة من الكتاب اللندنيين . وقد ظهر بادىء الأمر عنوانا لسلسلة مقالات كتبت بمجلة بلاكوود[2] عام ١٨١٨ . ومع أن المجلة هاجمت كبار الشعراء أمثال شلي وهازلت الا أنها هدفت الى الطعن بهنت[3] وصنيعته ــ كما كانت تسميه ــ كيتس.

ولقد ذهبت المجلة الى آراء غريبة حقا اذ ظهرت بفكرة مؤداها أن الكتاب الذيـن انحدروا عن أصل وضيع لا مناص من أن يكـون شعرهم وضيعا وسيرتهم السياسية كذلك . ومن هنا اشتق اسم المدرسة العامية أو الوضيعة في الشعر والخلق والسياسة .

---

(١) The Cockney School of Poetry

(٢) Blackwood

(٣) Leight Hunt

مَدرَسة الشّوكة الفضيّة [1]

هذا اصطلاح أطلق اطلاقا ساخرا على بعض الروائيين الانكليز الذين ظهروا في النصف الأول من القرن التاسع عشر . فقد ذهب الذين أكثروا نقدهم الى أن تناجهم الأدبي ذو دماثة مصطنعة وأنه يحفل كثيرا بالتقاليد الاجتماعية .

ولعل أشهر هؤلاء الكتاب ترولوب (١٧٨٠ ـ ١٨٦٣) [2] وليدي كارولاين لامب (١٧٨٥ ـ ١٨٢٨)[3] وتوماس لستر (١٨٠٠ ـ ١٨٤٢)[4] .

ويعتبر ثاكاري[5] أجرأ الذين نددوا بهم وسخروا منهم بهزليته « روايات كتبتها أيد شهيرة »[6] التي طبعها عام ١٨٤٧ .

---

(١) Silver Fork School

(٢) Frances Trollope

(٣) Lady Caroline Lamb

(٤) Thomas Lister

(٥) Thackeray

(٦) Novels by Eminent Hands

المذهب الطبيعي[1]

يمثل المذهب الطبيعي في الأدب حركة ترعرعت مع المذهب الواقعي وتشبعت بالفلسفة المادية ونظريات داروين في علم الحياة وكذلك آراء تين[2] .

وبينما يعنى المذهب الواقعي بالترابط والتواكب بين صورة النتاج الأدبي والحقيقة ، فان المذهب الطبيعي يؤكد على تصوير البيئة الاجتماعية وعاهات الطبيعة البشرية والمجتمع البورجوازي .

وعلى النقيض من المذهب الواقعي الذي تميز في القرن التاسع عشر بالحياد فصار من أبرز صفاته ، نجد المذهب الطبيعي غير حيادي ، مندفعا دون هوادة الى ترويج أصوله .

هناك دلائل تشير الى شيء من صفات المذهب الطبيعي في نتاج الكاتب الفرنسي شامفلوري[3] وفي نظرياته في المذهب الواقعي ، ونجد مثل هذا أيضا في القصائد الغنائية

---

(١) Naturalism
(٢) Taine
(٣) Champfleury

الاجتماعية للشاعر الفرنسي الشهير برانجر [٤] الذي كان معبود الطبقة العاملة والطبقة الوسطى الفرنسية ، وفي مسرحيات الكاتب المسرحي الالماني بوخنر [٥] وبرواية فكتور هوجو الشهيرة البؤساء .

ومهما يكن من شيء ، فان الاخوة كونكور [٦] يعتبرون مؤسسي المذهب الطبيعي وبناة أصوله في قصتهم (Germinie Lacerteux 1865) التي أكدوا فيها على الناحية الاجتماعية والتحليل النفسي . ومن هنا أفاد اميل زولا الذي يعتبر رائد المذهب الطبيعي وعلمه الأكبر.

فقد دعا زولا الى تحطيم ما هو فوق الطبيعي ميتافيزقيا وما ليس عقليا ، ودعا الى التمسك التام بالتحليل النفسي واعطائه الأهمية اللائقة لنستطيع ارجاع الظواهر الحسية والخلقية الى أسبابها الحقيقية ، ولنهيمن عليها ونوجهها توجيها صائبا اذا ما عرفنا هذه الأسباب .

ان موضوع الكاتب ــ كما يرى زولا ــ هو الانسان جزءا من الطبيعة ، لا منفصلا عنها ؛ وهذا الانسان لا اختيار له لأنه مسير بعاملين هامين هما : الوراثة والبيئة ؛ ولهذا عرّف اميل زولا النتاج الفني بأنه « زاوية من الطبيعة كما يراها مزاج الفنان » .

---

(٤) Beranger
(٥) Buchner
(٦) Brothers Goncourt

لقد تهيأ لاميل زولا من الشهرة ما جر اليه نفرا كبيرا من أعاظم الكتاب الفرنسيين آمنوا بآرائه وعملوا على تطبيقها ، ومن أشهر هؤلاء موباسان وهويزمان[٧] ، ولكن سرعان ما انزلق أنصار المذهب الطبيعي الشباب بمتاه معتم مغلق ،بعد أن تعلقوا بفلسفة شوبنهور وراحوا الى التشبث بآراء سادها وهم كبير .

وكان لآراء اميل زولا ورسالته الانسانية التي دعت الى تحليل المجتمع المعاصر ، ليوقظ الناس من سباتهم وغفلتهم عن محن هذا المجتمع أثر كبير في الأدب الألماني . فقد كانت المدرسة الطبيعية في ألمانية ثورة أدبية على التحلل الذي صحب سياسة القمع التي اتخذها بسمارك ، وعرفت برلين أنصارا للمذهب الطبيعي أكثر مما شهد زولا بفرنسا كلها ، وكان لهذه المدرسة فرع بمدينة مونيخ أواخر القرن التاسع عشر .

ولم يتهيأ للمذهب الطبيعي خارج فرنسا وألمانيا أنصار كثيرون ، ولعل من أشهر أنصاره في روسيا شيكوف وتولستوي ببعض ما كتبا ، وفي انكلترة جورج غسنغ[٨] .

لقد تدهورت المدرسة الطبيعية ، تدريجا ولا سيما بعد

---

(٧) J.X. Huysman

(٨) George Gissing

أن تألق نجم المذهب الرمزي في فرنسا والمدرسة الرومنسية الجديدة في انكلترة ، وانتعشت قليلا عندما عبرت الأطلسي الى الولايات المتحدة الأميركية بروايــات ثيودور دريسر حوالي عام ١٩٠٠ ، وتهيأ لهــا بعض العودة بعــد الحربين الكبيرتين ، لكنها لم تكن من المدارس الأدبية التي أقبــل عليها أبناء هذا اليوم .

المذهب العاطفي [1]
أو الأدب العاطفي

يعنـــي في الفن : أن العواطف الاجتماعيـــة أو عواطف الرأفة والشفقة قد جازت حدها وأفرط فيها ، وقد تعني أنها ذهبت مذهبا خاطئا . وقـــد أثر اللطف والشفقة والايمان الساذج بالطبيعة الانسانية في العمل على وجه ينتج شفقة وتأثيرا عاطفيا لا تجربة أخلاقية . ولا تدخل العاطفة بهذا الباب ما دامت في حدودها الخاصة الطبيعية . وربما اعتبر (الولد المعتوه) [2] لوردزورث و (المعتوه) لدستوفسكي، من قبيل المدرسة العاطفية هذه ما دام الأمر يتعلق بالعته أو البراءة ، ممثلا تمثيلا غير حقيقي للطيبة الانسانية . وربما وجد مثل هـــذا الافراط والاتجـــاه العاطفي الخاطىء في كتابات لها قوة أدبية عظيمة ولها سحر قوي .

ويستطيع الكاتب القدير أن يخلق جوا أو اطارا تختلف

---

(١) Sentimentalism

(٢) The Idiot Boy

فيه قيم القارىء عــن قيم الحياة الحقــة مثل أركاديــا[٣] وأيوفس[٤] والمراهقة الحالمة في (Brushwood Boy) (كبلنج)[٥] وقد يوجد في كل هذا استغراق في طوايا النفس ، غير أن هذا الاستغراق يجب أن يميز عــن الأدب العاطفي الذي يتقمص نغمة واقعية والذي يلتبس بالحياة ذاتها . مثل هذا الافراط في الواقعية بدا في « دراما » الشعور وقصة القرن الثامن عشــر العاطفية ، وقد أمدت الروسويــة « مذهب روسو » القـصـّاص في القرن التاسع عشر بفلسفة عاطفية مكنتهم من أن يجعلوا من طريدي المجتمع أبطالا. ويستطيع المرء أن يستشف حتى في المذهب الطبيعــي نحيبا رجوليا مخنوقا لكاتب مثل همنغواي[٦] الاميركي أو يجد وراء اللهجة العارمة (مثل (Pal Joey) لجون أوهارا التي كانت حديث الناس في نيويورك عام ١٩٤١ اتجاها للشفقة والمؤازرة لا اتجاها أخلاقيا نحو الحياة .

---

(٣) Arcadia
(٤) Euphues
(٥) Kipling
(٦) Hemingway

عصر النهضة (١)

أطلق هذا الاصطلاح عـلى عصر معروف وان كان غير محدود بحدود زمنية ثابتة ومظهر خاص من مظاهر التطور في أوربا . فهو من جهـة يشير الى الانتقـال مـن الفترة التاريخية المسماة بالعصور الوسطى الى ما نسميه بالعصر الحديث . ويتضمن من جهة أخرى اتجاها خلقيا وتغييرات عقلية اصطبغت به خلاله . والمعنى الحرفي لهذا الاصطلاح هو الولادة ثانيـة (Re-birth) . اذ دخلت الشعوب الأوربية في هذا العصر مسرحا جديـدا ذا قوة وحيوية . فقد كان الوعي واستخدام الطاقة العقليـة أقوى منهما في العصور الوسطى . وقد يعني احياء النشاط العقلي فقط ، وكان الحافز دراسة القديـم وما ينطوي تحت هـذا مما يمس الفنون والآداب للشعوب الحديثة .

وليس احياء دراسات القديـم غير عمل لهـذه الفترة الحيوية والتطور العقلي الذي مدّ العالم الحديث بما فيه من مفاهيم جديـدة للفلسفة والديـن ويقظة في الفنون

---

(١) Renaissance or Renascence

والعلوم وقبض على حقائق الطبيعة البشرية والعالم ومخترعاته واكتشافاته ونظمه السياسية المتغيرة وقواه الواسعة السائرة قدما . ان هناك عوامل رئيسة لما يدعى « بالنهضة » أو ان شئت « اليقظة » التي لا يتصل بها احياء دراسة القديم الا اتصالا بعيدا . من هذه العوامل : انحطاط الكنيسة والامبراطورية ــ وكانتا تحكمان في العصور الوسطى ــ انحطاطا شاملا معنى وواقعا معا ، ونمو القوميات واللغات ، وضعف النظام الاقطاعي في أوربا ، والتوصل الى صنع الورق واستخدامه ، واختراع البوصلة البحرية والبارود والطباعة ، واكتشاف القارات التي تقع وراء المحيط ، واستخدام النظام الكوبرنيكي بدل النظام البطليموسي في الفلك .

***

لقد تهيأت أوربا لتغير كامل قبل أن تظهر المثل الجديدة للحياة الانسانية والثقافة التي جلبتها دراسة الاحياء (احياء التراث القديم) الى النور وقبل أن تبدو للعيان . فالولادة الجديدة أو النهضة ليست رجوعا الى الحياة الوثنية الماضية ولا يجب أن تتخيل أيضا أن بينها وبين العصور الوسطى انفصالا ، فما عصر النهضة الا آخر مرحلة من مراحل العصور الوسطى ، فهو لذلك فترة انتقال وامتزاج واعداد وجهد تجريبي . وفي هذه النقطة نستطيع أن نشير الى

احياء الدراسة . فاكتشافات الماضي الكلاسي أعادت الثقة الى القوى العقلية لهؤلاء الناس الذين هم في نضال لتلمس الحرية الروحية كما أظهرت هـذه الاكتشافات اتصـال التاريخ ، وعرفت بالطبيعة البشرية رغم المعتقدات المضادة والعادات المختلفة ، فنصبت روائع الأدب والفلسفة والفن أمثلة تحتذى وحفزت على الاستطلاع وشجعت على النقد وأطاحت بالحدود الضيقة العقلية التي فرضها تدين العصور الوسطى .

قلنا ان عصر النهضة عصر انتقال ، ولهذا لا يمكن وضعه في حدود زمن معين ، ولكننا نستطيع أن نذكر تاريخا للبدء هو عام ١٤٥٣ عند ما سقطت القسطنطينية في أيدي الترك. وفي الوقت ذاته أيقظت الدراسات الجديدة التـي قام بها الانسانيون الأول فكرا حرا وشجعت عـلى الاستطـلاع وأعدت أحسن عقول أوربا لمغامرات تأملية .

واذا نظرنا بين ١٤٩٢ و ١٥٠٠ فاننا نحصل على تاريـخ آخر ذي أهمية عظيمة . ففي هـذه السنين وصلت حملة شارل الثامن الى نابلي مـن ايطاليـا لتدخـل الفرنسيين والاسبان والألمان . وفي تلك السنين أيضا امتدت سلطـة البابا الدنيويـة الى نقطتها النهائية وبدا الاصـلاح أمرا لا مفر منه .

وقد تميزت الفترة ذاتها باكتشاف أوربا والبحار الهندية واستكمال وحدة القومية الاسبانية ، كما شهدت أيضا ممارسة الطباعة لنشر المعرفة . ونستطيع اذا أعطينا لأنفسنا المجال أن نقول بأن نصف القرن بين ١٤٥٠ و ١٥٠٠ قمة عصر النهضة ، فقد ضمن الانتقال ان لم يكن تم من العصور الوسطى الى العصر الحديث ، وبدا التقهقر الى الماضي أمرا ليس بالامكان . فاذا نظرنا الى عام ١٥٢٧ أو ١٥٣٠ وجدنا تاريخا ثالثا حاسما ، فقد نهبت روما في أول هذه السنين وفي الثانية أخضع شارل الخامس ايطاليا لأسبانيا وبهذا انتهى عصر النهضة بالنسبة الى الأرض التي ولدته .

ولا يعني هذا أن عصر النهضة بدأ بلا إعداد لتحرير النفس البشرية من أغلال الكنيسة التي كانت تشل حركتها، فالجهود المكافحة للتحرير انما كانت ما نسميها بالعصور المظلمة .

ان الحيوية الحسية والدراسات التي ترجمت من العربية وأغاني التروبادور الحية والأغاني اللاتينية المعروفة بـ (Carmina Burana) المملوءة بالظهور الحسي مع ما اتصل به جنوب أوربا من أوجه تنوير ، كل هذه تدل على أن العصور المظلمة لم تكن مظلمة كما نتخيلها ، وانما كان يعوزها التوجيه الى الطريق القويمة . وعيبها هو : أن الطريق من الظلمات الى النور قد ضاعت . وفي هذه

الظلمات التي ضاعت فيها الطريق الى النور ،وان لم تخمد فيها حيوية الانسان ، ظهرت حركة إحياء الدراسات لتوجيه المجرى الى عصر النهضة .

كان طلاب العصور المظلمة يملكون شيئا لا بأس به من تراث اللاتين الكلاسي وان أمست اللغة اليونانية لغة ميتة . غير أن أولئك الطلاب لم يقدروا على وعي ما بحوزتهم من الأدب القديم وعيا صائبا ، فانسدل بينهم وبين هذه الكتب حجاب من الغموض أو ضباب من الفهم المغلوط لم يستطع أولئك أن ينفذوا منه الى حكمة تلك الكتب وجمالها .

لقد فتح بترارك طريقا جديدة في الدراسة وكشف عما نسميه بالانسانية (Humanism) وظهر هذا في تدريسه الاكتشاف المضاعف للانسان والكون .

كانت هذه الحركة الانسانية نصرا حيويا في حركة احياء الدراسات شملت أول مـا شملت فهما لكرامـة الانسان مخلوقا مفكرا ذا ارادة تريد وتختار وقوة تحس وتتذوق وتجرب ، مخلوقا ولد على هذه الأرض مـع حق يمارسه ويتمتع به . فالحركة الانسانية تتضمن رفضا لرؤى المستقبل وحالة الأرواح المتخيلة . انها وحدها الحقيقة المطلقة التي سحرت خيال العصور الوسطى . انها تضمنت اعترافا حيا بطيبة الانسان وان الطبيعـة خير . انها حفزت الانسان للاستطلاع على الاحساسات الكامنة في روائع الماضي وقوة

تقدير الانسان لنفسه بمعرفة ما فكر الناس فيه وما شعروا به وعملوه في عصور لم تكن المسيحية فيها موجودة فخلقت أملا باحتذاء القديم في أعمال الجمال الحي والقوة .

وكان ايطاليو القرن الرابع عشر أكثر شعوب أوربا نضجا لتحرير العقل المغلول . لقد وجدوا في القديم ما ينعش الروح الجديد ، فلم يدل بترارك أبناء وطنه الى طريق الصواب لدراسة روائع اللاتين حسب ، ولكنه رأى أيضا في معرفة الأدب الاغريقي قيمة لا تعادل ، وقام (بوكاشيو) بمثل ذلك وتبعه كثير من الايطاليين المتحمسين الذين زاروا بيزنطة قبل سقوطها .

وكانت الخطوة الجديدة جمع المخطوطات ونسخ آثار الماضي القيمة وحفظها ، وشاعت دراسة القديم فأصبحت مظهرا من مظاهر العصر لم تقتصر عليها طبقة معينة من المجتمع .

وبعد أن استرجعوا الاغريقية وجمعوا المخطوطات وأنشأوا المكتبات والمتاحف ، جاء عصر الطباعين والشارحين ، فظهرت من المطابع نسخ ما حصلوا عليه من مخطوطات القديم ، وظهرت الحماسة لموضوع القديم في الكنيسة نفسها . لقد نفذت روح النهضة خلال حقول الأدب والفن والفلسفة والعلم حينما سيطرت عليها حركة « الانسانية » .

واذا كانت الانسانية في ثورتها وثنية غير مصطبغة بالدين ففي النهضة وهي عصر انتقــال هدر كثير مما في العصور الوسطى من الحسنات وضحى بكثير من الفضائل ، أمــا الشرور فلم تزل . فقد كــانت تترصد تحت مظهر الثقافة اللامعة شهوة عارمة ورغبات وحشية لم تكبح جماحها في هذا العصر نزعة كنزعة العصور الوسطى الدينية ولا هذبتها تجربة كتجربة العصر الحديث . فوجدت في ايطاليا الشهوة والخيانة والسم والاغتيال بجانب التهذيب الفني والأدبي . وبدت الكنيسة ناشزة عــن مبــادىء المسيحية بأعمــالها الدنيوية المفضوحة . لقد فقدت القاعــات المثقفة سيطرتها على الأخلاق والأمانة السياسية واندثر اسمها في ايطاليا .

لقــد كانت ايطاليا مركزا للنهضة ومنها قبست الأقطار الأخرى جذوتها . فتلقت فرنسا واسبانيا وانكلترة المفهوم الجديد للحياة الانسانية الذي ينطوي على الاهتمام بالعالم المادي والطريقة الجديدة في التعلم .

العصر الأغسطسي[1]
أو عصر الجزالة

هذا عصر الامبراطور الروماني الشهير أغسطس قيصر (٢٧ ق.م ـ ١٤ ب.م) الذي ازدهر فيه الأدب الروماني ازدهـارا يتميز بعبقرية فرجيل وأوفييد وهوراس وغيرهم من الشعراء العظـام . وصارت الصفـة تطلق في الآداب المختلفة على كل فترة يتميز أدبها بالرفعة ، وثقافتها بالسعة والعمق ، ولها أصالة وابداع . وتطلق في الأدب الانكليزي خاصة على الفترة التي تسمى الكلاسية الجديدة ، وتبدأ بمطلع القرن الثامن عشر عند ما نزع كبـار شعراء هذه الفترة أمثـال بوب وأديسن وستيل الى التزام الأسلوب المنقح الذي يعنى بالجزالة والقوة .

---

(١) Augustan Age

الشعر الغنائي (١)

أطلق على :

١ – المقاطيع الشعرية القصيرة التـي نظمت لكي تغنى عادة بمصاحبة القيثارة او غيرها من آلات الطرب .

٢ – القصيدة أو القطعة الشعرية التي تعبر عن شعور شخصي .

فالشعر الغنائي اذن ، متنوع مختلف وقـد يبلـغ هـذا الاختلاف الى حد التضاد . فالشعر الذي أريد به أن يغنى يجب أن يتضمن شيئا يخص الجمهور ، كما يجب أن يكون عاما لا خاصا ، مسموعا يصل الى جمهور المستمعين لا سرا تهمس بـه النفس ، ولا صوتا خافتا أو نجوى هامسة . والغالب في هذا النوع من الشعر أن يتضمن معنى مناسبا لأن يذاع وقلما تضمن عاطفة شخصية بحتة .

وموضوعات هذا الشعر ، في العادة ، هـي الاحتفـال بالحوادث العامة ، ووصف بعض مظـاهر الطبيعة . وقـد يثـير في سامعـه عواطف السرور أو الألم أو الأسف أو الشكر . ويعبر هـذا الشعر عـن مواقف أو احساسات

---

(١) Lyrical, lyric

يشترك فيها البشر . أما شخصية المؤلف فلا يوجد منها الا ما يضمن كون هــذه الاحساسات قد اختلجت في انسان حقا (وتلــك مسألة فن لا اخــلاص أو صدق في معناها الواضح) . وحتى اذا كــانت تلك الاحساسات شخصية آو حادة فانها تكون مناسبة لأن يتغنى بها اذا كانت قريبة من الاحساسات المفهومة والتي يقدرها الناس . وقد يكون ممكنا هذا القرب مــن الاحساسات المفهومة لدى الناس بطريق التلفظ عامة والتصور خاصة .

وشكل الشعر الغنائي سبب آخر في جنوحه لأن يكون عاما مألوفا في مادته . فيجب أن تكــون الكلمات مفهومة واضحة يستطيع السامع متابعتها ، ذلك لأنه يتابع في الوقت ذاته بناء اللحن والايقاع .

ويتأثر الشعر الغنائي أيضا بما يتطلبه المغنى ، فالأصوات الملفوظة يجب أن تكون قابلة للغناء وطول المقاطع يجب أن ينــاسب التنفس السهل . كما يجب ألا يبــالغ في اذاقــة الأصوات الملفوظة فتأخذ بانتباه السامع وتلهيه عن الالتفات الى الموسيقى التفاتا مناسبا .

فهذا النوع من الشعر الغنائي « شعر الأغاني » يميل الى أن يكــون مجهول الشخصية عاما واضحا ذا طريقة خاصة .

أما الشعر الغنائى الذى لا يراد به الغناء فيقول عنــه

رسكن[٢] :

« انه تعبير الشاعر عن احساساته الخاصة » .

فهو اذن شخصي أبعد ما يكون اخفاء شخصية قائله ، وعن ربط التجربة الخاصة بالتجارب العامة واختيار الصور والمقاطع السهلة المألوفة . وهذا الشعر يرتـاد كل شيء . ويتحرى كل وسيلة لجعل العاطفة المعبَّر عنها فذة خاصة ، ربما اقتصرت على الشاعر فقط ولم تجل في جوانح غيره ، وابلاغ هذه العاطفة الى من تناسبهم ، وان كانوا قلة . أمـا النغمة التي تنبعث من مثل هذا الشعر ففي الأغلب نغمة من يناجي نفسه .. أو نغمة الاعتراف بالذنوب وطلب الغفران. ومن أجل الوصول الى مثـل هذا يرتـاد الشاعر مواقف ومناظر نادرة الوقوع ، فتتأثر عواطف لها صلة بالاستجابات العامة المختزنة ولا ترتبط الصور التي يصورها هذا الشاعر الا بالمواقف النادرة التي عبر عنها . وقـد يتطرف الشاعر ويبالغ في ذلك ، فيأتي بها خاصة لا تمت بأية صلة بغيره من بني الانسان . أما اللغـة فلا يتذكر الشاعر قواعدها الا ليهدمها ، كما لا تستجيب الألفـاظ والمقـاطع الا الـى الانتقـالات والالتفاتات وانقطـاع الاحساس الذي قلما يدركه الذهن الواعي . وما الموسيقى في هذا النوع مـن الشعر الا استغلال لمظـاهر الأصوات الملفوظـة وصفاتها

---

(٢) Ruskin

الحسية . وقد يكــون التركيب الظاهر مجرد نوع مــن الآلات يسجل اهتزازات العاطفة واختلاجاتها .

فهذا الشعر الذي لا يراد به الغناء انما هو شخصي أو يميل الى أن يكون شخصيا ونادرا أو معقد العواطف . وكل هذه الصفات تنطبق على جملة من الشعر الغنائي في جميع العصور وعلى أغلب ما نظم منه منــذ نهاية القرن الثامن عشر .

قد يبدو هذان النوعان من الشعر الغنائي متناقضين غير أن هذا التناقض ليس حادا في كــل الشعر الغنائي ، فقد تصلح للغناء مقطوعات شعرية مع أنها شخصية ..

ان هــذا التناقض ليشير الى الاتصــال بينهما . فقصر الأغنية وبساطتها تستلزمان موضوعا واحدا وهذا يعني في الغالب أن العاطفة واحدة مما قــاد الى معالجة العــاطفة وحدها وأجج الرغبــة في تعقيدها . فالتفت شعراء هــذا النوع الى تقليب طوايا عواطفهم وفحصها . أضف الى ذلك أن الجرس الموسيقي يميل الى أن يجعــل أية عاطفة يعبر عنها حادة . ولهذا فأبسط العواطف وأعمها ربما بدا مترعا عند الغناء به . فشعر الغناء اذن استطاع أن يجعل الشعور حادا وأن يقود لاستغلال هذا الشعور الحاد .

لا يخلو القول « بأن الشعر كله كان غنائيا في الأصل » من أساس . اذ أن شعر البدائيين يشير الى هــذا . وربما كانت قوة الايقــاع سببا في استعماله في تعليــم الأخلاق

والتاريخ وفي أنواع الشعر الأولى كشعر الملاحم[٣] والشعر التعليمي[٤] .

وأول الشعر الغنائـي المعروف في أوربـا هو الشعر الاغريقي ومن المؤكد أنه موسيقي في أصله وهو نوعان : جوقي[٥] وفردي[٦] وقد أشار هومر الى الغناء الجوقـي اذ قال ان قائدا وجوقا يغنون بمصاحبة آلات .

وكان الغناء الجوقي ينظمه شعراء غير مشهورين شهرة أسخيلوس وسفوكلس[٧] غير أن من أحسن شعراء الغناء المعروفين باشيليدس وبندار الذي قلدته أجيـال حديثة ونظرت اليه نظرة احترام وتقدير ، وقد تضمن تتاجه كل صفات شعر الغناء الجوقي الاغريقي في أعلى ما وصل اليه هذا النوع .

أن أغاني الجوق الرائعة نشأت الى جانب الشعر الغنائي الفردي الذي يبدو أنه استوحى وحيه من الغناء الشعبي والموضوعات الشعبية . وأشهر شعراء هذا النوع سابفو والكايس وقد استخدما ـ كما استخدم بندار ـ أنواعا مختلفة من الأوزان ذات مقاطع قصيرة غير أن مادتيهما هي العاطفة في الحياة الانسانية ، وقـد ظهر أنهما يغترفان من

---

(٣) Epic
(٤) Didactic
(٥) Choric
(٦) Monodic
(٧) Sophocles

تجاربهما الشخصية ناظمين نظما واضحا صريحا فيما يخص العلاقات بين بني الانسان . وجاء الشعر الغنائي اللاتيني الذي كانت علاقته بالحياة ضعيفة ، ولم يدن ـــ حتى حين استمد وحيه مـــن الغناء الاغريقي ـــ مـــن الشعر الغنائي الاغريقي وحريتـــه . وتعني متابعة الشعر اللاتيني للشعر الاغريقي أن الشعر اللاتيني كان فنيا صناعيا يعوزه الشعور الذي يميز شعر الأغاني .

والشاعر اللاتينـــي الذي نظم شعرا غنائيا حقيقيا هو (هوراس) مجدد الشعر الغنائي اللاتيني .

لقـــد كـــان الشعر الغنائي الأوربي ـــ بعـــد العصور الكلاسية ـــ لاتينيا قرونا عديدة وقد تغير بناء هذا الشعر اللاتيني خلال تلك القرون وأخذ الشعر الغنائي الشعبي بعد ذلك ينشأ في اللغات القومية تدريجا .

لم يخلف الأنكلوسكسون ما يمكـــن أن يدعى شعرا غنائيا ، ولا شك في أنـــه قد وجد بعد الفتح مباشرة . أما في ألمانيا فقد كـــان شائعا وكذلك الشأن في فرنسا حيث التروبادور (Troubadour) والـ (Trouvères في القرن الحادي عشر الى الثالث عشر كانوا يغنون أغاني الحب . وأسبانيا كان لها أغـــاني العسس وأغاني الصنعة (ولعلها أغاني السوق) (Trade-Songs) قبل أن يجتاز حدودها من فرنسا الشعر الغنائي الاقليمي المصطبغ بصوفية الحب.

وقـــد كثر في عصر النهضة الشعر الغنائـــي الذي نظم باللغات المحلية وعالج مختلف الموضوعات . ونعرف من بحث دانتي في (Du Vulgari Eloquentia) الذي تعرض لأوزان الشعر الغنائي ان الشعراء الكبار صاروا ينظرون الى الشعر الغنائي نظرا جديا .

وقـــد صير بترارك الشعر الغنائي الايطالي قويا جريئا مع رقة وعذوبة . وأثر الشعر الغنائي الايطالي في الأقطار الأخرى لشهرة بترارك الواسعة .

وقـــد وصل تأثير الشعر الغنائي الايطالي الى انكلترة بوساطة الشعر الغنائي الفرنسي أولا واستطاعت ايطاليـــا بعد ذلك أن تؤثر تأثيرا مباشرا في الأدب الانكليزي . ومن المؤسف أن أكثر شعراء الشعر الغنائي الانكليزي مجهولو الهوية وان كـــان شعراء كبـــار كسبنسر وشكسبير قد وجدوا وقتا لنظمه أيضا . وقد شهد القرن السابع عشر في انكلترة استمرارا في شعر الغناء وفي أغاني الحب والحياة الطيبة ، وصار الشعر الغنائي جزءا من الحركة الرومنسية في أوائل القرن التاسع عشر وشهد نشاطا وتهيأ لـــه بعض التجديد ، وخاصة بشعر وردزورث وبايرن وشيلي وغيرهم من الذين اشتهروا بهذه الحركة واعتبروا روادها .

الأفلاطونية [1]

الأفلاطونية فلسفة المفكر اليوناني الشهير أفلاطون (٤٢٧ — ٣٤٧ ق.م) تلميذ سقراط وأستاذ أرسطو . وكان يلقن تلاميذه العلم والفلسفة بالمجمع أو المعهد الفلسفي الذي أسسه بمدينة أثينا وظلت محاضراته ترتكز على المحاورة[2] التي اتخذ من أستاذه سقراط بطلها ومحدثها الكبير .

لا شك في أن أفلاطون من أعظم الفلاسفة الذين عرفهم التاريخ ، وكان على نقيض تلميذه أرسطو لا يأبه كثيرا بالقواعد يقننها لأصول فلسفته وآرائه ، بل يأتي بها مطلقة شاملة . وحاول أن يعبر عن فكر انسانية شاملة فصور المملكةالمثالية بالجمهورية[3] وخلودالروح بفيدو[4] والحب المثالي بمقالاته[5] وذهب الى أن الحقيقة ليست كائنة بالموجودات الفانية ذات الأمد القصير بل بالعوالم الروحية الخالدة ، ورأى أن القوة الدافعة في ذات الانسان

---

(١) Platonism
(٢) Dialogue
(٣) Republic
(٤) Phaedo
(٥) Symposium

أقوى وأعظم من القوى الخارجية ، وأن الجمال والصدق والفضيلة صفات متشابهة وان العقل يسود المادة .

ومــع أن « محاورات » أفلاطون تضم آراءه ونظرياته الرئيسة وهي واضحة شاملة فان هــذه الآراء ظلت مثار نقاش طويــل بين فريق مــن الفلاسفة المتأخرين سميت فلسفتهم الأفلاطونية الجديدة[٦] . ولعل من أهم هؤلاء أتباع مدرسة الاسكندرية التي ظهرت في الأعصر الأولى الميلادية وحاولت أن تضم تعــاليم أفلاطون وأرسطو والفلسفات الشرقية الى بعضها ، وهنــاك فريــق آخر ظهر في القرن الخامس عشر بمدينة فلورنسة الايطالية حاول أن يوحد التعاليم المسيحية والفلسفة الأفلاطونية .

ومهما يكن مــن شيء فان محــاولات الأفلاطونيين المتأخرين قــد جعلت آراء أفلاطون الأصيلة تختلط كثيرا بآراء مفسريه وشراحه حتى أصبح صعبا جــدا تمييز ما جاء به أفلاطون نفسه عما جاء به شراحه المتأخرون .

كان تأثير الأفلاطونية في الأدب الانكليزي واسعا جدا فنجد أفلاطونيي كمبردج[٧] مثلا يلوذون بفلسفة أفلاطون عندما يشنون حملتهم الشعواء على فلسفة توماس هوبس[٨]

---

(٦) Neo-Platonism

(٧) The Cambridge Platonists

(٨) Thomas Hobbes

المادية . ولقد استنبط الشاعر سبنسر[٩] مجموعته : «تراتيل الحب والجمال » من مقالات أفلاطون (Symposium) التي عرفها عن طريق كتاب « التعليقات » الذي كتبه الفيلسوف الايطالي مارسليو فشينو (١٤٣٣ – ١٤٩٩)[١٠] .

ويمكن أن يضاف شيء كثير الى هذه المثل القليلة من الأدب الانكليزي وحده .

---

(٩) Spenser : Hymnes in Honour of Love and Beauty

(١٠) Marsilio Ficino : Commentary

العصر الفكتوري [1]

يشمل العصر الفكتــوري في الأدب الانكليزي زمن حكم الملكة فكتورية (١٨٣٧ ـــ ١٩٠١) الذي يعتبر من أبرز عصور الأدب وأغناها . فقد حكمت الملكة فكتورية (٦٤) سنة وهي أطول فترة عرفتها بريطانية مع ملوكها وملكاتها .

يبدأ العصر الفكتوري ـــ على رأي بعض المؤرخين ـــ منذ عام (١٨٣٢) وهو تاريــخ (أول لائحة اصلاحية) وتاريخ وفاة الشاعرين « سكوت » الانكليزي و « غوته» الألماني . ولقد طرأ في الحيــاة الانكليزية ـــ قبــل وفاة فكتورية ـــ اتجاهات جديــدة ونزعات ميزت هذه الفترة عــن أوائل حكمها ولذلك سمى العقد الأخير من حكمها نهاية العصر [2] تمييزا له عن العقود الأخرى .

---

(١) Victorian

(٢) Fin de Siècle

المذهب السريالي - [1]

أو

مدرسة مافوق الواقعية

هذه تسمية أطلقت عـلى المدرسة التي تنجت فنا فيه طابـع اللاشعور ولا يتوسل أو يعنى بما هو في الحيـاة العادية المألوفة .

فأعلام المدرسة السريالية يعنـون بما ليس بعقلي وبما هو أخاذ جذاب .. ويرون أن الجمال كامن في هذه الأشياء ذات البهاء والبهرجة ، وهي تستحق عناية الفنان والأديب.

وما من شك في أن صفات هـذه المدرسة كائنة دوما ونجدها مع العصور ، ولكن قيام الحركة واعتبارها ذات كيان معلوم بعالم الأدب والفن لم يبدً الا ابـان الحرب العالميـة الأولى . وتعتبر الحركة « الداديـة » مستودع أصول المدرسة السريالية ، وقد ورثت صفاتها وطابعها في الفن والسينما والشعر والرسم .

وتنقسم هذه المدرسة اليوم الى فرعين رئيسين : التعبير عن الأحلام ، والتعبير عن الدوافع والمحفزات الأتوماتيكية

(١) Surrealism أو Superrealism

أو اللاارادية . ومن أعـلام المدرستين سلفادور دالي[٢] وجوان ميرو[٣] الاسبانيان . فقـد ذهب دالي الى أهمية الأحلام وتأثر بفرويد ودراساته . وقد كان واقعيا بصوره التـي تأثرت كثيرا بمدارس الفن الهولندي خاصة . وأما ميرو فقد باعد نفسه عن كل منطق أو نشاط عقلي ارادي وأطلق العنـان لريشته وهو يرسم وفسح دونها المجـال لتنساب بعيـدة عن التقيد بانفعال ذاتي ، ولذلك جاء فنه أشبه بتخطيط على لوحة كبـيرة لا رابط به ، وهـذا ما يريده أنصار هذه المدرسة ويرونه فنا حقيقيا خليقا بالتقدير لأنه يفصح عن الشعور الداخلـي والوضع النفسي الذي لا تشوبه شائبة أو تقيده عاطفة معلومة أو انفعال معلوم . ولقد ذهب هؤلاء الى أن لما يرسم الأطفال قيمة كبيرة لا تقل عن قيمة ما يرسم الكبار .

ان رواد هذه المدرسة ضجروا من المنطق و (التحليل الخاضع للقواعد) وسئموا الأصول الرتيبة وراحوا الى أن الحقيقة الحسابية التي تقـول بأن اثنين مع اثنين تساوي أربعة غدت باليـة وهي تساوي خمسة أو ستة أو عشرة أو ما شاء الله مما توحيه المخيلة ، ويرون أن العالم الحاضر تردى كثيرا لأنه تغذى بهذا المنطق الثقيل فآل الى ما هو عليه .

---

(٢) Salvador Dali

(٣) Joan Miro

الشعر القصصي [1]

أو الملاحم

يطلق هذا الاصطلاح على القصيدة التي تصور أعمال البطولة وتخص عادة بطلا هو محور قصص قومية وطنية ، وتستعمل الكلمة صفة أيضا بمعنى « الانسان البطل » أو « الذي يحوي صفات خارقة » .

لا شك في أن ماذهب اليه الشاعر الانكليزي داريدن من أن « قصيدة البطولة أعظم ما استطاعت الروح الانسانية أن تنتج » يوجز رأي عصور كثيرة في الشعر القصصي لا عصره وحده . فقد كان الشعر القصصي ملتقى طموح الانسان البدائي ومثار خياله ، وظل قرونا طويلة موطنا خصبا للدارس والمعنيين بالأدب ، ولازمته صفة عامة هي البطولة وما يدور حولها ويدخل في ميدانها وان اختلف الزمان والمكان . وللبطولة التي ولع بها الشعر القصصي مستوى سام لا يرقى اليه الا الذين يضحون بأنفسهم في سبيل مثل ينهجونه وينسون من أجله الحياة وما فيها من مغريات ، ويبتغون من تحقيق هذا المثل الأعلى خير القبيلة

---

(١) Epic

أو الشعب أو الانسانية جمعاء .

ان تنوع المثل التي يضحي من أجلها البطل أو الأبطال تصور لنا أهمية هذا الشعر ووجوده في كـل مرحلة من مراحل تطور الأمم ، وفي كـل الأزمان باستثناء الفترات التي تميـل بها الأمة الى الانهماك بالملذات أو الايغـال بالفكرة التجارية .

يدور ببال بعض ما يسمى « البدائية » (Primitive) اذا ما ذكر الشعر القصصي وهذا خطأ أدى اليه عمر الملاحم وزمنها الذي امتد طويلا في تاريخ الانسان ، فاننا لا نجد من هـذه البدائية شيئا سواء عنـد الشاعر الذي أنتج الأنياد [٢] أو حضارة عصره ، ويمكن أن يقال دون تردد : « ليس هناك شعر قصصي حقيقي يطبع بالبدائية » .

ومع أن القصائد القصصية قد تطول طولا غير مألوف عند العرب الذين لم يعرفوا هذا الفن الشعري ـ كما يرى المؤرخون ـ فان هذا الفن قد حمل أصولا كثيرة وصار صنعة ذات قواعد معلومـة . وذهب بعض الشعراء الـى تقليب شعرهم وتهذيبه كما فعل فرجيل ودانتي . ويمكن أن يقال ان الشعر القصصي يمتاز بناحيتين تعتبران ركنين مباشرين : أولهما أن الاحداث تتألف من حروب وسفرات بحرية على الأكثر . فالناس جميعا ـ في وقت من أوقات

---

(٢) Aeneid

حياتهم ــ يشعرون بأن الحياة كفاح وحرب أو سفر طويل لا بد له أن يحط رحاله . وقد يكون صعبا ألا نفكر بأن سفرة الى شواطيء عالم غير معروف تعني شيئا ذا علاقة مباشرة بتجارب الانسان في هذا العالم .

والركن الثاني الذي يـدور عليه الشعر القصصي هو البساطة وعدم تعقيد الأحداث ومجراها ، فليس هنـاك أبسط من أحداث الشعر القصصي ولكنها ــ مع هذا ــ قد تحتضن دهورا طويلة وتخترق عوالم كثـيرة وتجول بين أجيال مضت وجيلنا الحاضر .

لقد ضاعت كثير من الملاحم ، وما وصلنا قليل وان كان ثمينا جدا . فمن أقدم الملاحم التي عرفها العـالم الملحمة البابلية الشهيرة كلكامش التي يعود تاريخها الى ثلاثة أو أربعة آلاف عام قبل الميلاد والمهابهارتا ورامايانا الملحمتين الهنديتين اللتين ما زالتا مجهولتي الزمان .

واذا التفتنا الى الملاحم اليونانية فاننا نراها عريقة القدم حية رائعة ، فهناك بعض الصفات المعروفة في ملاحم هسيود ولكن النقاد أجمعوا على أن هوميروس باني كيان الملحمة . ومع أن المؤرخين ظلوا حيارى في هوميروس هذا وهل هو هوميروس واحد أو جملة يحملون الاسم ترادفوا على ملحمتيه فانهم يرجعون به الى عام ٧٠٠ ق.م. وينسبون له الالياذة والأوديسا اللتين كانتا مثالا احتذاه شعراء الملاحم في أوربا كلها على اختلاف أزمانهم .

وتعتبر الانياد ل (فرجيل) من أشهر ما جاءنا عن الرومان . وقد تهيأ لها شيوع يداني شيوع ملحمتي هوميروس ،وأثرت تأثيرا كبيرا في أدب الأمم اللاتينية خاصة ، وحسب فرجيل أنه طبع داتي بطابع ملحمته هذه .

ولم يخل عصر مـن شعر قصصي وشعراء قصصيين ، ولعل من أشهر الشعراء الذيـن حولوا موضوع الملحمة وصوروا منهجها الشاعر الانكليزي ملتن بملحمته الشهيرة الفردوس المفقود (عام ١٦٦٧) . فقد واجه ملتن أصعب موضوع طرقه شاعر قصصي ـ العلاقة الأولى بين الانسان وخالقه ومسببات علاقتهما الحاضرة .

ولقـد علا القرن السابـع عشر جنون : (الملاحم) . فالدراسة النقدية التي ظهرت ابان عصر النهضة بعدة أقطار آلت بالشعراء الـى أن يعمدوا الى الكمـال بقصصهم . واعتبر الشعر القصصي أنبـل ضروب الشعر وأغراضه ، وقام بعض النقاد بوضع قواعد للملحمة السليمة . ونجـد الشعر القصصي يرتفـع الى المسرح أواخر القرن السابع عشر ولاسيما التمثيليات القصصية للشاعر درايدن . ولم يكـن غريبا أن يؤدي هـذا الافراط والتشبث بالشعر القصصي الى الاتنكاس فنرى القرن الثامن عشر لا يرغب عن الملاحم حسب ، بل يهزأ بها ويسخر منها كما فعل بوب وفولتير ، ولعلنا ننصف الشعر القصصي وتاريـخ الأدب اذا قلنا ان هذا القرن عرف نهاية الملاحم .

القَـوْل المَـأثُور [1]

كل قول أو اداء موجز يحمل حكمة وعاطفة وغير ذلك في قالب شعري ، وقد يكون نثرا ، وكثيرا ما تضمن فطنة وسخرية .

وكانت هذه المعاني تؤدى أول الأمر كتابة أو بنقوش على الحجر ، ثم أطلقت عـلى القول الملفوظ . وقد أخذ الأوربيون هذا اللون الأدبي من المنتجات اليونانية المترعة بالسحر والسخرية ، ومن أبيات الشعر الرومانية العنيفة ذات الطابع العسكري المملوءة بالفطنة والنفاذ .

وقد تأثر رجال عصر النهضة بمأثور الرومان ، فكانـوا يعرضون في اللاتينية أو في لغتهم أقوالا يقلدون بها النماذج الرومانية ، فتأتي جافية ليس فيها الا قليل من فطنة النماذج الرومانية وقوة بنائها .

على أن الأمر لم يقتصر في كتابة هذه الأقوال على ذلك ، فقد اخذ الذوق منذ القرن السادس يتهذب ، وظهرت على مر الزمن مأثورات جميلة فيها فطنـة وفيها فكاهة وفيها روح شعري يثير الاعجاب . وربما كانت اللغة الانكليزية ميدانا صالحا للأمثال الشعرية ، وهي أكثر استعدادا لذلك

---

(١) Epigram

من الألمانية والفرنسية والايطالية بسبب كثير من كلماتها ذات المقطع الواحد .

ان اللغات اللاتينية أكثر مرونة في مجال النثر من الانكليزية ولهذا اشتهر كتاب الأقوال المأثورة من الفرنسيين بأقوالهم الأنيقة الواضحة ، غير أن الأقوال الشعرية المأثورة وجدت مجالها الواسع بالانكليزية . وقد اشتهرت قصائد الشاعر بوب الطويلة باشتمالها على أمثال رائعة هي أعلق بالذهن من أمثاله التي نظمت منفردة .

وخير ضاربي الأمثال أو الأقوال في الانكليزية جميعا لاندور[٢] . فأمثاله ذات الطابع الجدي لها من النبل وكمال البناء ما يؤهلها مقاما محمودا في عالم الشعر . ولاندور أيضا رجل الفطنة الساخرة اللاذعة لا يدانيه في كلا النوعين ــ في الجد والسخرية ــ الا بيلوك[٣] الذي يفوقه بالاحساس الرومنسي ، أما فكاهة لاندور فمختلفة عن فكاهة هذا الأخير .

ولم يعد في عصرنا الحاضر ــ القرن العشرين ــ رواج كبير لهذه الاقوال ، غير أن أمثلة قليلة اشتهرت بأسلوبها وجوها المختلفين عن تراث الماضي كأمثال سكواير (J. C. Squire) وازرا بوند (Ezra Pound) وولتر دي لامير[٤] .

---

(٢) Landor
(٣) Belloc, Hilaire
(٤) (Walter de La Mare)

الكبائر السبع [1]

كان الاعتقـاد الذي ساد القرون الوسطى أن الكبائر هي التي تفتك بروح الانسان . ولقد اختلف بهذه الخطايا أو الكبائر ومقامها ، ولكن المتفق عليـه أنها سبع ، وان اختلف ترتيبها حسب مدى قيمتها وعظم خطرها . ويرتبها علماء الدين عادة حسب هذا الترتيب: الكبرياء[2] والحسد[3] والحنق[4] والدعارة[5] والبخل[6] والجشع[7] والكسل [8] .

وكان لهـذه الكبائر أثر في الأدب يتجلى بالمسرحيات والقصص وخاصة الخلقية منها . فترى كثيرا من الروايات تدور حول صفة أو خطيئة من هذه وقـد يبرز نقيضها ــ المثال الذي يجدر أن يحتذى .

وتعتبر الصفات الساميـة السبع عـادة : التواضع[9] والاحسان[10] والزهـد[11] والعفـة[12] والجد [13]

---

(١) The Seven Deadly Sins
(٢) Pride
(٣) Envy
(٤) Wrath
(٥) Lechery
(٦) Avarice
(٧) Gluttony
(٨) Sloth
(٩) Meekness
(١٠) Charity
(١١) Abstinence
(١٢) Chastity
(١٣) Industry

والكرم[١٤] والصبر [١٥] .

وقد يبدو غريبا أن نذكر أن الكبائر احتلت مكانة كبيرة في أدب القرون الوسطى وكـانت مدارا لنتاج كبير عـلى النقيض من الصفات السامية .

---

(١٤) Generosity

(١٥) Patience

الكتب الدينيّة الأصيلة [1]

شاع هـذا الاصطلاح في النقد الأدبي لوصف النتاج الأدبي الأصيل الذي لا يعتريه شك بنسبته للمؤلف . وقد يكون من الطريف أن نذكر أن النتاج المتفق عـلى صحة نسبته للشاعر الانكليزي (شكسبير) لا يتجـاوز سبعا وثلاثين رواية تمثيلية والمنحول عليه يفوق هذا العدد .

يطلق هـذا الاسم في الأدب الديني عـلى الكتب التي قبلتها المجالس الكهنوتية واعتبرتها أصيلـة صحيحـة لا يساورها الشك ، وتستحق أن تدرج بالكتـاب المقدس . وهناك « ٣٩ » كتابا أصيلا بالعهد القديم و « ٢٧ » كتابا بالعهد الجديد كما قرر البروتستانت . والكتب المشكوك بأصالتها تسمى (Apocryphal) .

---

(١) Canon

الكتب الرخيصة [1]

كانت بعض الكتب تطبع خاصا ، لتباع بسعر رخيص جدا . وأطلق على هذه الكتب « الرخيصة سعرا » . ولقد ظهر عدد كبير منها في القرن السادس عشر وما بعده حتى القرن الثامن عشر . وكان يقوم بتوزيعها باعة يتجولون[2] .

وتتباين هذه الكتب بموضوعاتها بين الأحاجي وتفسير الأحلام وأحداث الاجرام والقتل وقصص العرافين والسحرة وقصص الحب والهيام وما شاكل هـذه ، مما يثير رغبة العامـة ويدفعهم الى قرائتها ، وان كـانت الصور أحيانا لا تمت للموضوع بصلة وانما وضعت لغرض الاغراء ليس غير . وقد انقطعت هذه الكتب في مطلع هذا القرن .

---

(١) Cheap books   (٢) Peddlers

المذهب الكلاسي [1]

أول من استعمل هـذا الاصطـلاح في الأدب أولوس جيلوس الذي ميز بين (Scriptor Classicus) و (Scriptor Proletarius) مشيرا الى الفرق بين الأدب يكتب للمجتمع المثقف وذلك الذي يكتب للعامة . غير أن المغزى الاجتماعي لهذا الاصطلاح ـ وان لم يفقـد قيمته تماما ـ قد تغير فصار يعني فيما يعني نتاج أدب من « الدرجة الأولى » . فعدت روائع الأدبين الاغريقي والروماني في عصر النهضة من الدرجة الأولى ، واعتبرت مثالا يستحق أن يحتذى ، فثبتت منـذ ذلك العصر الفكـرة القائلـة بأن الكلاسية تتضمن احياء « نماذج » العالم القديم وتقاليده . والأدب الاغريقي بما فيه من انسانية وكمـال في الشكل يمكن أن يعتبر الادب الكلاسي الوحيد ، كما يمكن أن يعتبر العصر الأغسطسي [2] للأدب الرومـاني كلاسيـا أيضا ، لأن كبار أدبائه احتذوا كبار أدبـاء الاغريق واقتدوا بهم . بيد أن رجال عصر النهضة أقاموا الرأي القائل بأن الكمال الأدبي والفلسفي انما يتمثل في الأدبـين الاغريقي والروماني في

---

(١) Classicism

(٢) Augustan

عصري بركليس[٣] والعصر الأغسطسي .

ويمكن فهم طبيعة الكلاسية عند ما تواجه تحديا . وقد حدث هذا مرتين في الأدب الحديث :

١ ـ في الخصومة الطويلة بين القدماء والمحدثين في فرنسا ابان القرن السابع عشر تلك الخصومة التي تلتها في انكلتره « معركة الكتب »[٤] في أواخر القرن السابع عشر وأوائل القرن الثامن عشر .

٢ ـ مذهب الرومنسيين في أواخر القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر .

لقد رأى المحدثون أن المثال الكلاسي غير مسيحي وأن الكلاسية القديمة تشف عن ذوق سيء ، وربما شفت عن عامية غير مهذبة وان قانون التقدم يتحدى استمرار الرأي القائل ان القدماء لا يمكن أن يفوق تراثهم شيء سواء في هيئته أم في أسلوبه . واعترض هؤلاء المحدثون على تبجيل حضارة أجنبية وتفضيلها على الثقافة القومية .

وعد الرومنسيون رجال الكلاسية رجعيين ، فثاروا على الأغلال التي كبلت بها الكلاسية الأديب وقيدته بقيودها .

وانه لخطأ أن تعد الحركات الكلاسية رجوعا الى الماضي القديم على حساب التراث القومي ، فقد كان عصر النهضة ـ في ايطاليا ـ حركة قومية في جوهرها ، واكتشف

---

(٣) Periclean

(٤) Battle of Books

الانسانيون ماضيهم ـ الماضي الروماني ـ ، ولـم تدرك الكلاسية الفرنسية قط أنها احياء كلاسي قديم، ذلك لأنها اتجهت الى أن تنتـج أدبا فرنسيا خالصا يرتقي الى المثال الكلاسي القديم . أما الكتاب الانكليز الأغسطسيون في مطلـع القرن الثامن عشر فقـد أرادوا ـ عندما التزموا القواعد المنسجمة التـي أدركتها أنبـل حضارات الماضي وقلدتها الثقافة الفرنسية تقليدا ناجحا ـ أن يهبوا انكلترة أدبا مهذبا كاملا ، وهذا لا يمكن أن يظهر الا في زمن ذي أناقة مهذبة سامية . وقد حاول رجـال الأدب الألماني في القرن الثامن عشر مثل كوتشد[٥] كتابة أدب قومي وتقريب الشقة بـين أدب القصور الفـارغ والأدب الشعبي غـير المهذب . والتفت كوتشد الى فرنسا معتقدا أن الفرنسيين قد خلقوا حقا أدبا قوميا بتقليدهم الاغريق .

ويبدو أن الحركات الكلاسية الحديثة تسير من بلد الى آخر في قرون متلاحقة ، فقد استيقظت القيم الكلاسية في الأدب والفلسفة عند ما هاجر أساتذة اللغة الاغريقية الى ايطاليا . غير أن عصر النهضة لم ينتج أدبا رائعا كما أنتج في الفن ولكنه وضع أساسا لاتجـاه كلاسي عند ما وجد مرشدا أوربيا ذا نظر عالمي هو أراسمس[٦] ، ووضع هذا العصر أيضا مقاييس لنقد الأدب الكلاسي بتفسيره وبحثه

---

(٥) Gottsched (٦) Erasmus

المستمر لكتـــاب الشعر لأرسطو الذي عثر عـــلى نسخته الاغريقية سنة ١٥٠٨ .

وبلغت الكلاسية ذروتهـــا في فرنسا في القرن السابـــع عشر ، وقد سبقتها جهودبلياد [٧] وجهود ملهارب[٨] الذي كان خصما لكلاسية بلياد المصطنعة،فركز جهودهعلىتهذيب اللغة الفرنسية وصـــار مشرع الحركة الكلاسية قبـــل أن يشتد ساعدها .

اذا كـــانت الكلاسية الفرنسية انعكـــاسا للمجتمـــع الأرستقراطي ـــ وهي في الحق فن القلة ـــ فان الكلاسية الانكليزية في عصر بوب تعبير عن فكرة الطبقة المتوسطة . قد هيأ أرضها دريدن وسقاها لوك بنتاجه العقلي وتأكيده على الحقـــوق السياسية للطبقات الوسطى فاتسعت لمثـــل عظيمة واتزان وتفضيل للعقل والدقة كما في كتابات أديسون وستيل وركدت في شخص دكتور جونسن .

وقد وضع بوب المترجم لهوميروس نظريته في الفن ، في المقالة الرائعة في النقد الأدبي عـــام ١٧١١ معتمدا اعتمادا كبيرا على القدماء ، وقد ادعى أن دراسة هؤلاء القدمـــاء تنجي الكاتب من الاخفـــاق . واعتقد بوب أيضا برسالة الكاتب الاجتماعية للتأثير في النـــاس وعاداتهم وتدريبهم ووضع مقاييس عالية في الأخلاق والجمال .

---

(٧) Pléiade (٨) Malherbe

ولم تكن الكلاسية الألمانية على صلة بالأحوال السياسية والاجتماعية للعصر الذي عاشت فيه (١٧٥٥ ــ ١٨٠٥) فتناقضت مثلهـا وواقـع عصرها فاجتهدت أن تؤثـر في عصرها بوضع قيم ثابتة . وقد أرسيت قواعد الكلاسية في المانية وثبت صرحها بما كتبه لسنغ[٩] وهردر[١٠] وغوتـة وشلر وكانت وغيرهم .

ان الكلاسية الخاطئة[١١] تقليـد لمظاهر من الكلاسيـة الحقيقية فهمت عـلى غير صورتها الصحيحة وغـالت في التقليد ولم تصب التوفيق .

---

(٩) Lessing (١٠) Herder

(١١) Pseudo-Classicism

المأساة [1]

تعتبر المأساة صنفا من أهم أصناف المسرحية وهي ـ كما يشير مفهومها ـ تعتمد على المظاهر الجدية من الحياة . وتعرض الانسان يهوي ، وكأنه أصيب بالعمى ، الى مصير مؤلم . وهذا كله نقيض ما تلتزمه الملهاة .

ومع أن الجمهور الذي يرتاد الملهاة والمأساة لا يستطيع الا أن يفكر ويتابع ويتأثر ولكن العواطف ـ دون شك ـ تتأثر في المأساة اثارة دونها ما نعرف من فعل الملهاة ، ولذلك كانت المأساة عامة شاملة في جرها الجماهير اليها ، واعتبرت أسمى أصناف الفن المسرحي .

يجب أن تكون عقدة المأساة عويصة حية ولا تصلح لها ان كانت سهلة يسيرة ، وتتفاوت بين الصراع الجدي أو الصراع في المثاليات أو التناحر في المثل الاجتماعية أو الموت . ولعل من أقسى وأعنف مواقف المأساة أن ينهزم الحق دون الباطل وأن يهوي الانسان الطيب وينتصر الشرير .

---

(١) Tragedy

وتختلف صور المأساة بالنسبة للعصور الأدبية . فالمأساة الاليزابيثية حاولت تقليد المأساة اليونانية والرومانية وذلك بأن تصور تدهور وسقوط ملك أو أمير أو قائد عظيـم . وظـل هـذا شأن المأساة قرونا . ولكـن الفكرة تغيرت ــ وخاصة في العصر الحديث ــ بشيوع الديمقراطية وعدم النظر الـى الملوك تلك النظرة المقدسة التـي حبتهم بها العصور الوسطى ، وصار موتهم لا يعتبر حدثا من الأحداث الخارقة في حيـاة الأمم ولذلـك أصبحت بعض المواقف المفجعة في حياة الناس محورا للمأساة ، كانتحار سيدة لم تستطـع أن تنسى ماضيها السيء مثلا أو فشل مصلـح اجتماعي أراد الخير أو غير هذا .

المأساة السّنيكيّة [1]

يطلق هذا الاصطلاح على المآسي المنسوبة للفيلسوف السياسي الروماني لويس سنيكا المتوفـي ٦٥ م. وعـلى المآسي الانكليزية والأوربية التي اقتفت أثرها وقلدتها في القرنين السادس عشر والسابع عشر .

يغلب عـلى الظن أن المأساة السنيكية كتبت ليقـوم بعرضها وتمثيلها خطيب أو بلاغي ولكن الروائيين والنقاد الانكليز والفرنسيين والايطاليين في عصر النهضة وبعدهـا بفترة قصيرة أيضا اعتبروا هذه الروايات نموذجا يجدر أن تنسج المأساة على منواله وكان أثرها كبيرا جدا .

ومن الصفات المميزة للمسرحية السنيكية التـي وجدت سبيلها الى الأدب الانكليزي ، اما مباشرة عن اللاتينية أو عن طريـق فرنسا وايطالية ، أن تكـون خمسة أدوار ، وتستعمل تعـابير عاطفية ولغة تقليدية تصحبها الموسيقى وتعج بالثورة والحركة والعنف .

لقـد قلد الروائيون الانكليز المآسي السنيكيـة فترة طويلة وطبعت روايات العصر الاليزابيثي بهذا الطابع أيضا ،

---

(١) Senecan Tragedy

وان استطاعت أن تحافظ على شيء كبير من صفات العصر.
واشتهر نوع مــن المآسي السنيكية في العصر الاليزابيثي وتهيأ لــه الشيوع في المسرح الانكليزي وهو مــا يسمى مأساة الانتقام[٢] التي تدور أحداثها حول عقاب المجــرم القاتل . وتنصب أكثر أحداث هذا النوع من المأساة على فكرة انتقام الأب لابنه القتيل كما ترى هذا برواية (كايد) : مأساة اسبانية[٣] ، أو على فكرة انتقام الابن لموت أبيه كما في رواية هملت لشكسبير . وقد يتعدى الانتقــام لآخرين غير الأب والابن كما نرى هذا برواية فورد[٤] : القلــب الكسير (١٦٢٩) التي ينتقم فيها القاتل مــن أخ خطيبته بقتله لأنه قسرها على التزوج بغيره .

---

(٢) Revenge Tragedy

(٣) Kyd: Spanish Tragedy

(٤) Ford: Broken Heart

المدينة الفاضلة [1]

أطلق الاسم أصلا على المملكة المثالية التي ابتدعها السير توماس مور[2] ، وأطلق بعد ذلك على كل قطر خيالي كامل. واشتق العنوان من ألفاظ يونانية معناها (لا أرض) .

لقد كتب مور مدينته الفاضلة باللغة اللاتينية عام ١٥١٥ ـ ١٥١٦ وترجمت الى اللغة الانكليزية عام ١٥٥١ وهي وصف خيالي يعرضه (رفائيل هايثلودي)[3] مثلا للمملكة المثالية التي توصف بالشيوع وترفع فيها القيود الاقتصادية وفوارقها . وتمثل هذه الآراء ما كان يعتقده مور في الحكومة المثلى والمجتمع الكامل .

ولم تكن الفكرة من ابتداع مور وان كانت التسمية بدأت معه ، فقد عرفت المدينة الفاضلة عند اليونان بجمهورية أفلاطون كما هو معلوم .

---

(١) Utopia

(٢) Sir Thomas More

(٣) Raphael Hythloday

وأشهـــر المدن الفاضلـــة في الأدب الانكليزي الحديث رواية[٤] (Erehwon) لـ (صاموئيل بتلر)[٥] التي كتبت عام ١٨٧٢ وعالم جديد شجاع[٦] لـ (ألدوس هكسلـــي) عـــام ١٩٣٢ .

---

(٤) هي مقلوب كلمة (Nowhere)
(٥) Samuel Butler
(٦) Brave New World : Aldous Huxley

المدرسة المستقبلية [1]

المستقبلية حركة أدبية أوربية أعلنت انفصالا كاملا عن الماضي ، ودعت الى صور جديدة للموضوعات والأساليب لتواكب روح العصر الجديد الناهض الذي عرف المكائن والطائرات والمعامل الأوتوماتيكية والسرعة الهائلة . وقد تبنى التعبير من احدى قصص مارتيني .

لقد تغذت هذه الحركة وانتعشت بفلسفة نيتشه[2] وسوريل[3] وبرغسون[4] ولكنها نشطت وقويت على يد فيليبو توماسو مارتيني[5] .

ولد مارتيني هذا وعاش بالاسكندرية ولذلك كان ينظم باللغة الفرنسية لا باللغة الايطالية . وأصدر عام ١٩٠٥ مجلة « الشعر »[6] التي كانت لسان حال (الشعراء الكبار

---

(١) Futurism

(٢) Nietzche

(٣) Sorel

(٤) Bergson

(٥) Filippo Tommaso Marinetti

(٦) Poesia

المتحمسين) الذين أصبحوا قادة المدرسة المستقبلية فيما بعد .

ولدت المستقبلية حركة أدبيـــة عند ما أصدرت جريدة فكلروبباريس في ٢٠ شباط ١٩٠٩ (بيان المستقبليين)[٧] . وقد تخطى هذا البيان الأدب والفن وجاء بنظرية سياسية تهدف الـــى الاعتراف بفلسفـــة نتشه وسوريل وآرائهما لأسباب قومية . وذهب الى أن الحرب هي العلاج الوحيد للمشكلات البشرية .

وقد وجد المستقبليون في الفاشية مـــا أدى بهم الـــى اعتناقها واعتبارها مواكبة لفلسفتهم ، ولهذا تبناها الحكم الفاشي في ايطالية رسميا . ولكـــن مارتيني لم ينعم طويلا فسرعان ما تخلى عنه أصحابه الرواد .

ان المستقبلية هاجمت أصول الحضارة الأوربية المعاصرة وكانت لا تتقيد كثيرا بالقواعد والمعارف الموروثة ، ولكنها بالرغم من هذا وجدت لها أنصارا كثيرين بين فناني أوربا وأدبائها ، وتأثرت بها كثير مـــن الحركات الفنية واقتفت أصولها كالحركة المكعبية[٨] في الرسم والمدرسة التعبيرية والمدرسة السريالية[٩] .

---

(٧) Manifeste du Futurisme (٨) Cubism

(٩) Sur-Realism

واتتشرت المدرسة المستقبلية في روسيا قبل الثورة الشيوعية وانقسمت الى مدرستين تسمى الأولى : المستقبلية الذاتية[١٠] التي كان يقودها أكور سفيرنيان[١١] الذي سيطر على سنت بطرسبورغ بنحوه المشوه وبغلو عباراته وتحذلقه. ولقد سميت المدرسة الثانية : المكعبية المستقبلية[١٢] وكان من أنصارها فلادمير مايكوفسكي[١٣] الذي نشر عام ١٩١٢ مع بعض أصحابه بيانا سموه « صفعة على وجه ذوق الجمهور »[١٤] .

وقد تبنى هذا البيان ما نشره مارتيني عام ١٩٠٩ ، ولا بد أن نذكر أن مايكوفسكي حاول أن يتملص من مذهبه تدريجا بعد الثورة الشيوعية .

---

(١٠) Ego-Futurism

(١١) Igor Severyanin

(١٢) Cubo-Futurism

(١٣) Vladimir Mayakovsky

(١٤) A Slip in the Face of Public Taste

المسرحية[1]

أصل اللفظة يوناني يعني «حركة» ، وهي الفن المعروف الذي يرمي الى تفسير أو عرض شأن مـن شؤون الحياة لجمهور النظار ، بوساطة ممثلين يتقمصون شخوص الذين يمثلونهم ويلقون أحاديثهم وأقوالهم ويقومـون بالأدوار الأخرى التي تضمها المسرحية .

وتتطلب المسرحية الحقيقية عقدة[2] أو مجموعة مـن الحوادث والأزمات المتصلة بعضها ببعض ، والتـي تؤول الـى ذروة التحرج والتأزم ، وتتطلب ممثلين يتقمصون أشخاص المسرحية وأبطالها ، كما تتطلب مكانا تمثل عليه الأحداث أو ما يسمى « مسرحا » ، وحوارا ، ولا بد لها من خاتمة .

ان المسرحية أقرب ألـوان الأدب الى الحيـاة وهي في الحقيقة أدوار مباشرة من الحيـاة يمثلها ممثلون يضفون على الحدث أو القصة روعة في حركاتهم وأقوالهم وبهـذا تكسب حيوية قد تفوق حيوية الحدث أصلا .

---

(١) Drama ومسرحي Dramatic

(٢) Plot

وقد عرف التاريخ للمسرحية امتدادا بعيدا ، فقيل انها انحدرت عن الطقوس الدينية التي خصت باخوس[٣] اله الخمر والخصب . فقد كان الأثينيون يجتمعون بين التلال خارج أثينا ليحيوا أعياد باخوس ويباركوها ولا سيما في موسم قطف الأعناب . وكانوا يرقصون ويكثرون الغناء ، وقد فطنوا الى اقامة مذبح وسط المكان ليرقصوا حوله وهم نشاوى من الخمر الذي يشربون والوحي الذي يساورهم في تأملهم الديني . واعتادوا أن يذبحوا جديا[٤] عند المذبح ليكون قربانا للاله . ولهذا اقترن الجدي دوما بعيد (ديونيسوس)[٥] أو (باخوس) وصار القوم يلبسون جلد الجدي وهم يرقصون .

وهكذا ظهر ما يسمى الرقص الغنائي[٦] وصار يعرف باسم (غناء الجدي)[٧] الذي يعتبر أصل المأساة . فقد قال أرسطو : « كانت المأساة أول أمرها مجرد ارتجال بديهي نشأ مع رواد الرقص الغنائي » .

وكان طبيعيا أن يظهر في هذه الأعياد الجمعية رجال يأخذون على عاتقهم غناء عبارات وجمل يرددها الجمع كله ، وبهذا ظهر الممثل البطل أو الجوقة وصار الجمع يزداد

(٣) Bacchus
(٤) Tragos
(٥) Dionysus
(٦) Dithryamb
(٧) Tragodia

عددا ، مما اضطر البطل الى أن يقف فوق عربة خشبية أو على المنضدة التي تقـدم عليها القرابين وذلك لكـي يراه الجميع ويسمعوه . ومن هنا ظهر أول مسرح .

وعند ما صحب البطـل ممثل آخر ظهر الحوار ودعت الضرورة الى أن يوسع المسرح وآل أمره الى أن يقام على جانب من دائرة الرقص عنـد المذبح . ولما أصبحت فكرة الأقنعة واللباس وغير هـذه ــ بعد تعقد المسرح ــ مـن الأسباب التي يقتضيها ، نصبت خيمة وراء المسرح يمكن أن تحفظ بها هـذه الأشياء ويغير الممثلـون لباسهم فيهـا ، ويظهروا عـلى المسرح ــ أول ما يظهرون ــ منها أيضا . وعند ما صار التمثيل يستغرق وقتا طويلا أحيانا وتعقدت أدواره وأحداثه ، أصبح جلوس الجمهور أمام المسرح بدلا من الوقوف ــ كما هو الشأن قبلا ــ من الضرورات .

ولا بد أن نذكر أن اليونانيين لم يسمحوا لطبقة العبيد ليشاركوا بالأعياد والمهرجانات التي كانوا يقيمونها للاله باخوس بل كان لهؤلاء طقوس خاصة بهم ولكن سمح بعد مدة طويلة لبعض مثقفيهم وذوي المكانة بينهم أن يحضروا بعض التمثيليات .

وكانت تستوفى أجور زهيـدة عن حضـور المسرحية يعفى منها الفقراء عادة لأن الدولة تدفع عنهم الأجر . ولا شك في أن هذه المشاركة من قبل الجماهير كافة بالتمثيلية،

واعتبارها من صنع أثينا كلها ، من العوامل التـــي أضفت عليها فنهـــا وجمالهـــا وحيويتها . فنجـــد الأثينيين جميعا ـــ الأحرار والعبيد ـــ يسمعون صوتهم ويتمتعون بالمسرحية ويرون فيهـــا حياتهم حلوها ومرها . فهذا أروبيدس الذي كان ساخطا على العبودية يخلق مثلا يتكلم بلسان العبيد في رواياته ويجعل هـــذا البطل يصرخ : « ان كثيرا مـــن العبيد أجود من أسيادهم » . « ان الانسان الذي لا يملأ قلبه الخوف لا يكـــون عبدا » . « ان كثيرا مـــن هؤلاء الذين يسمون أحرارا هم عبيد في قرارة أنفسهم » . ولم يكتف بهذا بل صير بطل روايته «المرأة الطروادية»[٨] عبدا.

وكان أول من أحرز صيتا في تخليد الأعياد ثسبس[٩] الذي ولد في أوائل القرن السادس وحـــاول أن يشخص الاله ديونسيوس ، وأقنع بعض أصحابه ليشخصوا آلهة آخرين، وأخرج الى الوجود أول المسرحيات ، وان كانت بدائية . وقيل ان حاكم أثينا صولون قد اعترض عـــلى هذا العمل واعتبره نوعا من الغش الذي سيؤول الى صور أخرى من الغش والتشويه في الحياة المدنية ولكن اعتراضه هذا لم يلق أذنا صاغية .

وصارت المسرحية تنمو وتتسع شهرتها والاقبـــال عليها

---

(٨) The Trojan Woman (٩) Thespis

حتى غدت بعد عصر صولون من مقومات الحياة المدنية في أثينا ، وراحت الحكومـة تعضدها ماليا وتشجع الممثلين وتمنحهم جوائز وهبـات . ولما آل الأمر الى بركلس في منتصف القرن الخامس كان للفنون الجميلة كلها ـ الرسم والنحت والموسيقى والتمثيل والأدب ـ مقام وشأن عني بها عناية فائقة .

المسرحية الإخبارية (١)
أو التاريخية

لقد جد الروائيون في العصر الاليزابيثي كثيرا بالتفتيش عن موضوعات يصيرونها مدار تمثيلياتهم . وهـذا البحث أدى بهولنشد(٢) الى أن يجمع مجموعته الشهيرة « أحداث انكلترة وأسكتلندة وأرلندة »(٣) . وظلت هذه المجموعة مصدرا تاريخيا وجغرافيا خصبا يرجع اليه الأدباء في ذلك العصر ويفيدون منه . فقد أفاد منه سبنسر بروايته المعروفة ملكة الجن(٤) وشكسبير بروايته ماكبث . ولم تكن هـذه المجموعة ذات نهج يشبه كتب التاريـخ أو الجغرافية بل كانت تجمع أخبار الملوك وأخبـار حبهم وغرامهم وأخبار قادتهم ومن حولهم من العظام بجانب الأحداث التاريخية . وهي لا تختلف كثيرا بهـذا النهج عما نعرف عـن كتب العرب التاريخية .

---

(١) Chronicle Play

(٢) Holinshed

(٣) Chronicle of England, Scotland, and Ireland, 1577-1587

(٤) Faerie Queen

ولقد تطورت الرواية الاخبارية هذه حتى صارت تعنى بالتاريخ وحده ، ولعــل من أشهر المآسي التاريخية التي نعرفهــا (ريچارد الثاني وريجارد الثــالث) لشكسبير و (هنري الرابع) الملهاة التاريخية الشهيرة أيضا .

المسرّحيّة الخلقيّة [1]

هذه نوع من المسرحية التي عنيت بها الكنيسة ، وتصمم عادة لتكون دليلا على حيـاة النصارى وآخرتهم . وكان موضوع الرواية الخلقية في القرنين الخامس عشر والسادس عشر ـ فترة ازدهارها ـ الفقه والشؤون الدينية . فعنيت بمسألة التطاحن بين فكرتي الخير والشر للسيطرة على روح الانسان . ولم تكـن الرواية لتطبـع بطابـع المأساة لأن الأحداث تتزاحم ويكثر الصراع فتنتهي الرواية دوما بانقاذ الروح الانسانية وتغلب الخير على الشر . ويكون أبطال هذه الرواية عادة مطبوعين بالطابع الديني ، ويغص جوهم بما نعرف عن العـالم الآخر والملائكة والشياطين والخطايا السبع .

ولقد تغير اتجاه المسرحية الخلقية بعد الاصلاح الديني في القرن السادس عشر فصارت تعنى بالأصول التي تتعلق بالأخلاق والسلوك والثقافة وبشؤون الدولة والكنيسة ، ولم توقف على المسائل الفقهية والدينية المحضة . ولا بد من القول بأن بعض هذه الروايات قد طبعت بأسلوب فني

---

(١) Morality Play

وفكر سامية ونهج مقبــول . ويمكن أن يقــال ان رواية شكسبير الشهيرة ماكبث تمثــل هذا الجانب السامي من المسرحية الخلقية لأنها صراع بين الخير والشر .

يجب أن نفرق بــين المسرحية الخلقية والمسرحية التي تدور أحداثها حول المعجزات وتسمى (Miracle Play) فلقد أطلق هذا الاسم في القرون الوسطى على المسرحيات الانكليزية التي تعرض معجزات القديسين والأمور الخارقة التي تنسب اليهم وتصور بعض الأحداث التــي وردت في الانجيل أحيانا .

المسرحيّة الدينيّة [1]

يطلق هذا الاسم على الأدوار القصيرة من الصلاة والتعبد التي ظهرت في القرن التاسع عشر لتطبق بعيد الفصح خاصة وتكون شبه مسرحية . وتتألف هذه الأدوار من كتابات أو أبيات باللغة اللاتينية تغنى أثناء مشي الراهب الى المذبح والاقتراب منه . وكان هدفها أن تصور يوم القيامة . وتأخذ هذه المسرحية جوها من عرض جو فارغ ووقوف القسسة ــ وهم الذين يمثلون الرواية ــ عند هذا القبر مع ثلاث سيدات يقمن بدور الباحثات عن جسم المسيح ليطيبنه بالطيب . ويتعرض لهن في هذه الفترة الملاك الذي يقوم بدوره أحد القسسة متسائلا : « من تطلبن من اللحد أيتها السيدات المسيحيات ؟ »[2] . فيجبن : « اننا نطلب المسيح ابن الناصرة الذي صلب أيها الملاك »[3] فيجيبهن الملاك بأن السيد المسيح قد صعد الى السماء ، ويتوسل بهن لينتشرن ويذعن هذا النبأ العظيم . ويتبع هذا تهليل وطرب من جوقة صغيرة وهكذا تختتم المسرحية .

---

(١) Liturgical Play أو Liturgical Drama

(٢) Quem Quaeritis in Sepulchro, O Christicolae

(٣) Jesum Nazarenum Crucifixum, O Caelicolae

ان المسرحية الدينية كما تشير أحداثها ليست أكثر من مشهد واحد لا يختلف كثيرا عن بعض المشاهد التي نراها ببعض المناسبات الدينية ، وان تعقدت بعد مدة وصارت تضـم أكثر مـن مشهد ، وتحوي بعض أحداث الكتاب المقدس وانتقل مسرحها من الكنيسة الى الأسواق ، وصار أبطالها مـن المحترفين أو المتحمسين . وقـد هجرت اللغة اللاتينية واستعيض عنها باللغات المحلية .

المسرحية غير التمثيلية [1]

ويقصد بها الروايــة التــي تقرأ فقط ولا تمثل . وخير مثــال عليها رواية ملتون التــي كتبها عــلى نمط المأساة اليونانية وعنوانها سمسن آكونستاس[2] .

ويطلق هذا المصطلح أيضا على المسرحيات التي تصلح للقراءة أكثر من التمثيل وان كان ببال كتابها أنها ستمثل . وأمثلة هــذا اللون كثــيرة في الأدب الانكليزي . ولعلنا لا نغــالي اذا ادعينا أن أكثر المسرحيــات التــي طرقت موضوعات علمية أو فلسفية صبغت بهذه الصبغة .

فمسرحيات روبرت براوننك التي تأثرت بالفلسفة وعلم النفس غدت صعبة المراس على المسرح وصارت تقرأ أجود منها تمثل .

---

(١) Closet Drama

(٢) Samson Agonistes

مسرحية البلاط [1]

لقد نجم عن ولوع الملكة اليزابيث بحياة اللهو والطرب أن ظهر في بلاطها نوع من الملهاة وضعت أصولها وصورتها لتبعث المتعة والسرور في نفوس رجال البلاط وضيوفهم .

وقد كانت المسرحية الملكية هذه مليئة بما يبعث البسطة والمتعة الى نفوس النظار ، وكانت العقدة فيها تنتزع عادة مـن الأساطير الكلاسية ومن قصص الحب الموروثة عـن العصور الوسطى .

يمثل الأدوار عادة سيدات وشباب مـن البلاط نفسه ، ويتخلل المسرحية غناء ورقص ، وقد يتخللها الدعاء للملكة باليمن والتوسل اليها لتنفذ رغبة راغب في أمنية . وقـد تتخللها شكوى من أمر هام بأسلوب بلاغي فيه من اللباقة وحسن التصرف ما يوقف الملكة علىهذا الأمر دون اثارتها.

ويعتبر جونليلى[2] من أشهركتاب مسرحية القصرالملكي وأجودهم . وقد كسب شهرة وحظوة لدى الملكة اليزابيث. وتعتبر رواية شكسبير (حلم ليلة في منتصف الصيف)[3]

---

(١) Court Drama

(٢) John Lyly

(٣) A Misdsummer Night's Dream

١٥٩٤ من هذا اللون المسرحي ، ويمكن أن تدخل روايته (العاصفة)[٤] بهذا الميدان أيضا .

---

(٤) The Tempest

المسرحيّة الموسِيقية [1]

يطلق على المسرحية التـي تتخللها موسيقى « مسرحية مباشرة »[2] أو « مسرحية أصيلـة »[3] . وخير تعريف للمسرحية الموسيقية هو أنها على النقيض مـن المسرحية الغنائية لأنها تغني مـن أولها الى آخرها مصحوبة بفرقة موسيقية . وتتميز عن الأوبرا بأن التأكيد فيها يكون على المسرحية لا على الموسيقى كما هو الشأن في الأوبرا .

---

(١) Music Drama
(٢) Straight
(٣) Legitimate

المشكوك به من العهد القديم [1]

أطلق هذا الاسم على فصول معلومة من الكتاب المقدس ضمها العهـد القديـم بطبعتـه اليونانيـة التـي تسمى (السبعينية)[2]، ويطلق عليها باللغة الانكليزية (Septuagint) كما ضمتها ترجمـة القديس جرمو[3] اللاتينية في القرن الرابع . ولكن المصلحين الأوائل من البروتستانت رفضوا هذه الفصول لأنهـا ـ كما قرروا ـ ليست مـن الكتاب العبري .

ولقد ظلت هذه الفصول تنشر في طبعات انجيل الانكليز البروتستانت حتى أوائل القرن التاسع عشر ، وكان موقعها عادة بين العهد القديم والعهد الجديد . ولكن الذين نقحوا الانجيل خـلال القرن التاسع عشر أهملوا هذه الفصول

---

(١) Apocrypha

(٢) قام بترجمة العهد القديم من العبرية الى اليونانيـة اثنان وسبعون عالما في القرن الثالث ق . م . ومن هنا جاءت التسمية .

(٣) لقد قام (القديس جرمو) بترجمة الكتاب المقدس كله المسمى (Vulgate) وانتهى من ترجمته التي ظلت مرجع القرون الوسطى عام ٤٠٥ م .

نهائيا .

وكـــان لهـــذه الفصول أثر كبير في الأدب ظل طـــوال القرون ولم يطمس حتى عهـــد قريب . فنجد القصيـــدة الانكليزية القديمة « جودث »[٤] ترتكز على فصل منها بالعنوان نفسه ، ولشكسبير أبيات تشير الى تأثره ببعض فكر هذه الفصول أيضا بروايته (تاجر البندقية) . وهناك صفة[٥] من هذا الاسم في اللغة الانكليزية تطلق على الكتب التي تنسب لمؤلف ما وليس هناك برهان قاطع على صحة هذه النسبة .

---

(٤) Judith

(٥) Apocryphtal

المقـالة (١)

المقالة اصطلاح عـلى صورة مـن صور الأدب المنثور هدفه اخباري أو ايضاحي تعليمي .

ويرى النقـاد الانكليز أن المقالة ولدت مـع فرنسيس بيكون(٢) الذي عاش بين ١٥٦١ و ١٦٢٦ ولكنها خـلال القرون الثلاثة بعـد وفاته مرت بمراحل طورتها وجبهت ما باعد عنها كثيرا مـن عناصرها التي عرفتها عند نشأتها . وبقيت ـ بالرغم مـن هذا التطور ـ بعض صفاتها التي نذكر منها قبل كل شيء أنها يجب أن تكون نثرا لا شعرا ، ولا عبرة للمجموعة الشعرية التي كتبها الشاعر الانكليزي (Pope) وعنوانها « مقالة في الانسان »(٣) لأنها لا تغير هذه الحقيقة .

وصفتها الثانيـة أن تكون قصيرة قصرا لا يدعـو الى الخروج على المألوف كما هي مقالات (فرنسيس بيكون) التي كتبها أوائل حياته ، كما يجب ألا تكـون ممعنة في الطول شأن البحوث المسهبة . وأخيرا يجب أن تكون ذات هدف تعليمي أو اخباري .

---

(١) Essay

(٢) Francis Bacon

(٣) Essay on Man

وللمقالة أنواع كثـيرة تبعا لمادتها وأسلوبها وأهمها : المقالة التقليدية أو الرسمية والمقالة غير التقليدية[٤] ، وليس من السهل أبدا أن نضع مميزات خاصة لكـل منهما تميز الواحدة عن الأخرى .

ويمكن القـول أن المقالة غير الرسمية تكـون بسيطة سهلة المـادة فيها شيء مـن التنويـع بين الهزل والجد والاستطراد .

وقـد اصطلح عـلى المقـالات التي تتعلـق بالتجارب الشخصيـة وتعتمـد عـلى نفسية كاتب المقالـة اسـم (الشخصية)[٥] وهي تمثل طريقة أسلوب السيرة الشخصية ميدان المقالة . وقد تستعمل صفات أخرى للتفريق بين المقالات فيقال : مقالة اجتماعية أو نقدية أو خلقية .

***

تعتبر مقـالات فرنسيس بيكون التي طبعها عام ١٥٩٧ وعام ١٦٢٥ أول مجموعة جدية في الأدب الانكليزي . وقد اقتفى بكثير مـن مقالاته الأولى طريقـة الكاتب الفرنسي الشهير مونتين .

وتتميز مقالات بيكن بأنها مختصرة مملوءة فكرا وفلسفة اذا صح التعبير . ولم تعرف اللغـة الانكليزية كاتبا آخر

---

(٤) Formal and Informal Essay

(٥) Personal

استطاع أن يحبك مقالاته ويدبجها كما فعل بيكون .

وقد كان للمقالات الخلقية التي كتبها أديسون[٦] وستيل[٧] في مجلتيهما الأسبوعية (Tatler) (١٧٠٩ ــ ١٧١١) و (Spectator) ١٧١١ ــ ١٧١٢ أثر كبير في النقد الأدبي فصارت نموذجا للمقالة النقدية البسيطة وتهيأ لها أن تنتعش انتعاشا كبيرا في عصر جونستن وكولدسمث .

وكان للحركة الرومنسية أواخر القرن الثامن عشر أثر كبير في انعاش ما يسمى بالمقالات الشخصية التي ظهر منها سيل في هذه الفترة لكتاب مشاهير أمثال جارلس لامب (١٧٧٥ ــ ١٨٣٤) ووليم هازلت (١٧٧٨ ــ ١٨٣٠) .

واتجهت المقالة في العصر الفكتوري الى الجد في الأسلوب والجزالة في العبارة وغدت محبوكة حبكا رصينا ولكن ستيفنسن (١٨٥٠ ــ ١٨٩٤) استطاع أن يبعثها ويرجع بها الى صفاتها التي عرفتها مع هازلت ولامب ، ومن المؤسف حقا انها ابتعدت بعده عن نهجها وأسلمت الى انحطاط متصل حتى القرن التاسع عشر فظهرت المقالة الصحفية[٨] التي حلت محلها وصارت تعني بكل شأن وتستوعب كل مادة شأن الصحيفة ولا تلتزم أسلوبا معينا.

---

(٦) Addison — (٧) Steele

(٨) Article

المَقطَع [1]
أو القصيدة القصيرة

أصل اللفظة يوناني يعني صورة صغيرة ، وما دام الشعر صورا فان الاصطلاح استعمل ليدل على قصيدة وصفية قصيرة تعني بالحياة القروية والريفية عامة . وتتسم بالهدوء والبساطة .

ويشترط أن تكون الصورة كاملة بالمقطع نفسه ، وان كانت ببعض المقاطع جملة صور تتعلق بحياة الرعاة وتدخل بهذا الميدان . وليس هذا الاصطلاح وقفا على الشعر بل يطلق على الصور النثرية أيضا اذا ما استوعبت الصفات نفسها .

لقد ذهب النقاد الى أن أجود المقاطع في الأدب الانكليزي ما كتب تنسون الشاعر الشهير بكتابه (مقاطع الملك)[2] .

---

(١) Idyl or Idyll

(٢) Idylls of The King

رواية الأقنعة [1]

التقنع أصلا صورة من صور اللهو والقصف يتشبث بها الملوك والأمراء ومن لف لفهم من رجال القصور الملكية . فكان هؤلاء اذا ما حدث مهرجان أو احتفـال في القصر الملكي يتركون الحفل فترة قصيرة ليغيروا أزياءهم ويخفوا شخوصهم بأقنعة يلبسونها وزخرفة يضعونها على لباسهم ويعودوا ليدعوا السيدات الحاضرات للرقص معهن .

لقد عبرت روايات الاقنعة الأولى الى انكلترة من ايطالية أوائل القرن الرابع عشر ولم تكن في تلك الفترة لتختلف كثيرا عما صوره شكسبير بروايته : جهد الحب ضائع[2] . ولكن التقنـع أصبح صنعة معقدة في القرن السادس عشر وأوائل القرن السابع عشر ـ قبل الحرب الأهلية ـ وحفل به بلاط الملكين جيمس الأول وجارلس الأول وتطور كثيرا حتى غدا أشبه بمهرجان عظيم وأصبحت الموسيقى والرقص والأزياء وزخرفة المناظر تفوق الحوار والتمثيل أهمية . ولم يعد التقنع وما يصحبه من عرض وتمثيل ارتجالا كما كان أصلا .

---

(١) Masque

(٢) Love's Labor's Lost

وصار يسهم باخراج روايات الاقنعة مجموعة محترفين بــين شاعر أو كاتب مسرحي وموسيقى ورسام ومختص بالأزياء. وحسبك أن موسيقيين أمثال كامبيون[٣] وجابمان[٤] وشاعرا مثل بن جونسون يرعون هذا اللون الفني .

ويعتبر بن جونسون أعظم كتاب المقنعات وأكثرهم تتاجا وكان يعاونه عــلى تصميم زخرف مقنعاته الرسام أنيكو جونس[٥] ، وقد ظلا متعاونين حتى افترقا على أثر عراك آل اليه جدل طويــل في أيهما ــ بن جونسون أو أنيكو ــ أهم ، وأية مقنعة أكثر نفعا . وتعتبر مقنعة الملكات[٦] عام ١٦٠٩ أجود ما كتب بن جونسون .

ولا جدال في أن ملتون[٧] يلي بن جونسون شهرة وأهمية ويعتبر آخر من عنوا بالمقنعات . وأجود مقنعاته كومس[٨] التي عاونه على تصميم موسيقاها الموسيقار هنري لاوس[٩].

---

(٣) Campion

(٤) Chapman

(٥) Inigo Jones

(٦) The Masque of Queens

(٧) Milton

(٨) Comus

(٩) Henry Lawes

الملهـــاة [1]

الكوميدي أو كما عربهـــا الأستاذ أحمد حسن الزيات «الملهاة» ، في الفن الأدبي صورة من المسرحية تمثل الجوانب السارة من فعال الانسان أو الأبطـــال وهي نقيض المأساة التي تنحو الجانب الجدي وتنتهي بما يحزن ويغم .

وقد أطلق الاصطلاح في العصر الاليزابيثي عـــلى كل مسرحية تنتهي بما يسر ولا يلف الموت خلالها أحد الممثلين، وان كـــانت بعض أدوارها الأولى وأحداثها تنذر بوقوع مأساة .

ان الملهاة بطبعها هجائية أو نقدية ، لأنها تجنح للاضحاك على الجوانب غير الحميدة في الانسان وتهدف الى اصلاح المجتمع بهذه الوساطة . ويصنف النقاد الملهاة حسب طبيعة مادتها وأسلوبها الذي يلتزمه الكاتب . فتلك التي تضحك النظار بأسلوب لاذع بارع يعتمـــد عـــلى الفطنة الفكرية وتواكب ذوق طبقة خاصة من المجتمع تسمى ملهاة عالية[2]، والتي تعتمد على الأسلوب الذي يناسب العامة في اضحاكهم

---

(١) Comedy

(٢) High Comedy

ولا يرتفع كثيرا تسمى ملهاة عادية[٣] . والتي تعنى بالأحداث الغريبة وتتخللها عناصر مثاليــة تسمى رومنسية ، والتــي تسخر بالعناصر المكونــة للانسان تسمى خلقية ، والتــي تتشبث بالعادات والسلوك تسمى ملهاة الآداب .

---

(٣) Low Comedy

مَلهَاة السِّلوك [1]

تمثل ملهاة السلوك صورة أخرى من صور الملهاة يرى النقـاد أن فصلها عن ملهـاة الخلقة أمر مصطنع لأنها لا تختلف عنهـا اختـلافا جوهريا . فملهاة السلوك تسخر بالنقائص الاجتماعية التي تسود العصر عامة ولا تميل الى نقـد النقائص الأساسية التـي لا تختلف اختلافا كبـيرا باختلاف العصور ولذلك تجـد البطل أو الممثل في هذا الصنف من الملهاة يطبع بخلة أو صفة مـن الصفات التي تكونت خلال فترة طويلـة كالتحدث بلغة النوتية مثلا أو لغة طبقة مـن المجتمع أو اساءة استعمال الألفـاظ وعدم التزام القواعد المعروفة في اللغة الفصيحة .

ويمكن أن يقال ان ملهاة السلوك تكـون ذات أسلوب لاذع يعتمد على الفطنـة وسرعة الخاطر وقلما تميـل الى الأساليب الشائعة في السخرية والتي تعتمد على الحركات والألفاظ والنقد غير الفنـي . ومن المسرحيات التي تتسم بصفات ملهاة السلوك : « مروحة السيدة وندرمير »[2] لأوسكار وايلد و « الدائرة »[3] لسمرست هوم .

---

(١) Comedy of Manners

(٢) Lady Windermere's Fan

(٣) Circle

الملهاة الخلقيّة [1]

ملهاة الفكاهة

عرف العصر الاليزابيثي نظرية شاعت فيـه مؤداها ان صحة الانسان ومزاجـه تتحكم بهما جملة سوائل تسمى « عناصر الخلقه »[2] وهي اخـلاط الانسان والحيوان ، وكانوا يجعلون هـذه الاخلاط أربعا هي : الدم والبلغم والسوداء والصفراء ، ويرون أن تحكم هـذه الاخـلاط يعتمد على كيفية امتزاجها في الجسم وتنسيقها ، ومن هنا كان مصدر نظرية بن جونسون التي فصلها بملهاته الشهيرة «كل انسان وطبعه»[3] . فان الأبطال بهذه المسرحية يتحكم بهم هذا العنصر من مكونات الخلقة أو ذاك . وقد يتحكم بالبطل أكثر من عنصر فيظل أسيره ورهين أثره . وقد تجد بعض العواطف أيضا تتحكم بالأبطـال وتكـون مدارا بالرواية كالحسد والغيرة والجشع .

---

(١) Comedy of Humors

(٢) Humors

(٣) Every Man out of his Humor

ويرى النقاد أن هذا اللون من الملهاة لم يكن من ابداع جونسون بل عرفه الرومان في روايات بلوتوس[٤] وتيرنس[٥]، ولكن (جونسون) استطاع أن يضفي عليه بهـاء الصنعة والاتقان ويعمل على شيوعه بين فنون الأدب الانكليزي .

ولا بد أن تتذكر أن ملهاة الفكاهة تعتمد عـلى التندر والتنكيت الا أن اكبر اعتمادها على اللمز .

---

(٤) Plautus

(٥) Terence

الملهَاة الصّامِتة [1]

هناك نوع من أنواع الملهاة يصور الحركة والانفعالات والعواطف تصويرا صامتا يسمى الملهاة الصامتة ، ويعتمد عادة على الاشارات والايماء وحركات الوجه أو الأيدي والوقوف وقفات خاصة . وكان التقليد في الملهاة الصامتة يعتمد عند الرومان القدماء على الجسم لا على الصوت .

وقــد أطلق هذا الاصطــلاح في القرن الثامن عشر في انكلترة على تقليــد المسرحيات الايطالية الصامتة التــي أخرجها المخرج المسرحي جون رج[2] ١٦٩٢ ــ ١٧١٦ .

ويجدر أن نذكر أن هناك مصطلحا آخر يسمى التمثيل الصامت[3] الذي شاع في العصر الاليزابيثي ويكون عادة جزءا قصيرا من التمثيلية حيث يقوم الممثل بدور صامت ، وقد تصحبه الموسيقى أو بعض الحركات المناسبة لطبيعة الدور . والفرق بين المصطلحين واضح .

---

(١) Pantomine

(٢) John Rich

(٣) Dumb Show

المناظرة [1]

المناظرة صورة من التأليف الأدبي يغلب أن تكون شعرا ينظمه أشخاص كل يأخذ وجهة نظر تغاير وجهة نظر غيره ، بمناقشة أو مساجلة أدبية . وقد كانت هذه الصورة الأدبية سائدة في القرون الوسطى ، ويغلب أن يكـون البطل أو الأبطال الذين يذكرون خياليين ، وأن يكـون الموضوع دينيا أو أخلاقيا . وغالبا ما تطبـع المنـاظرة بطابع الجد والتحليل المنطقي . ومن المناظرات الشهيرة التي لا يعرف مؤلفوها :

مناظرة بين الروح والجسم[2] .

ومناظرة بين الوردة والورقة .

ومناظرة بين البوم والبلبل[3] .

وللعرب في ميدان المناظرات نتاج جم يحتل مكانا واسعا في الأدب كما هو معلوم .

---

(١) Débat

(٢) The Debate of the Body and the Soul

(٣) The Owl and the Nightingale

المهزلة [1]

ان اللفظة مشتقة من الكلمة اللاتينية Farce اي « انا أحشو » ومن هنا سميت التمثيلية المحشوة بالفكاهة المستفلة مهزلة ، وأطلق الاصطلاح أواخر القرن السابع عشر على كل رواية هزلية قصيرة ، ولكنه الآن يستعمل لكل رواية هزلية تعتمد على الغلو في تصوير الأحداث والمشاهد تصويرا قد يتعدى حدود الادب والحشمة والذوق والامكانية . وتسمى أيضا المهزلة الرخيصة او التافهة .

وتعتبر رواية براندون توماس[2] التي تسمى عمة جارلي[3] ١٨٩٢ من المهازل التي لعبت دورا هاما في وقتها ، وهي تقوم على حوادث مضحكة مصدر اضحاكها تقليد المرأة .

ويمكن أن يقال اجمالا ان المهزلة ذات علاقة بالملهاة تشبه علاقة المأساة الرومنسية او الميلودراما بالمأساة .

---

(١) Farce سماها الاستاذ الزيات (الملهاة العامية) وخصها بمقالة قصيرة قيمة بكتابه « اصول الأدب » . م ١ ص ٢١١

(٢) Brandon Thomas (٣) Charleys' Aunt

نَدوة الجَواربْ الزَرقاء (١)

يطلق هذا اللفظ اليوم على السيدات اللائي يحاولن أن يقلدن الأساليب المهجـورة في الحديث وطريقـة الأداء . ويرجع تاريـخ المصطلح الـى منتصف القرن الثامن عشر عند ما قررت جماعة من السيدات البريطانيات تأسيس ندوة تعني بالأدب وشؤونه ، وتنصرف اليـه ليبتعدن بهذا عن المقامرة وحضور صالات لعب الورق .

وكـانـت السيدة اليزابث فيسي رائدة هذه الحركة . ولقـد اشتق اسم الندوة ـــ كما ذكر الكاتب الانكليزي بوزول ـــ من الاشارة الى جوارب أحد الرجال الانكليز الذين حضروا احدى الاجتماعات بدار السيدة اليزابث ، وهو يرتدي جوارب زرقـاء وظلت الحركة تعرف بهـذا الاسم .

ومن أشهر السيـدات اللائـي نهضن بهـذه الندوات اليزابث كارتر (١٧١٧ ـــ ١٨٠٦) وكانت شاعـرة وكاتبة مبدعة . والسيدة جابون (١٧٢٧ ـــ ١٨٠١) التي اشتهرت

---

(١) Blue Stocking

بكتابها « رسائل في اصـــلاح الفكر » . والسيـــدة مور (١٧٤٥ ــ ١٨٣٢) التـــي كانت مدرسة وكاتبة ناجحـــة كسبت شهرة بعالم الأدب . ويؤخذ عليهـــا أنها تطرفت في المحافظة حتى انها ادعت أن كتب شكسبير يجب أن لا تقرأ كما ورثناها بل يجدر أن تهذب قبل أن يقرأها الناس .

النقد الأدبي [1]

يبدأ تاريخ وقوفنا على النقد الأدبي بما جاءنا من الاغريق ولو أن هذا الذي انحدر الينا قليل جدا ، اذا ما قورن بما فقد كما يجمع مؤرخو الأدب .

ويعتبر كتابا الشعر والبلاغة لأرسطو والسمو للونكينس[2] قيمة من هذه الناحية وهي فريدة اذا ما قورنت بكتب النقد الأخرى .

ولعل آراءنا في النقد الأدبي وفنون الأدب تتجه اتجاها مغايرا أو تطبع بطابع مختلف لو تهيأ لنا أن نعثر على كتب النقد التي ضاعت . فقد ترانا نؤرخ للمأساة اليونانية صورة تختلف عما هي عليه عندنا اليوم لو أن كتاب سوفوكليس في المسرحية وصلنا .

ان نظريات أفلاطون النقدية كما عبر عنها سقراط في محاوراته ترتكز على القواعد الخلقية التي قررها . فنجد سقراط في الجمهورية[3] يردد : « يجب أن يبتعد الشعراء عن المملكة المثالية » . ومعروف أن أفلاطون يطلب أن

---

(١) Literary Criticism　(٢) Longinus

(٣) Republic

تتحرى الحقيقة ونقترب منها ويرى أن الصنـاع يقربون منها لأنهم يقلدونها مباشرة ، ولكن الفنان يقلد أعمال هؤلاء الصناع أو يقلد هذه الأشياء المنظورة فيبتعد عن الحقيقة خطوة أخرى ، وهذا مصدر الضلال في عالم الفن والشعر. وقد ظل هذا المبدأ الذي نادى به شيخ الفلاسفة وصمة في جبين الذين دافعوا عن الفنون ووجد فيـه خصوم الفن سلاحا قويا يدافعون به عن نظرياتهم .

ويبدو أن أرسطو قد كتب كتاب الشعر قاصدا ــ وان لم يكن قصدا مباشرا ــ رد نظريـات أستاذه أفلاطون . وجل ما وصلنا من كتاب الشعر يخص المسرحية التي حبذها أرسطو لأنها عنده « تجربة مفيدة لمشاهدها » . وقرر أن لتقديم الحوادث المحزنة أو المآسي أثرا نفسيا عميقا لأنه يفسح مجالا لترفيه عاطفتي الرأفة والخوف(٤) اللتين قد تؤولان الى ما يسبب ضررا عقليا وجسميا اذا لم تجدا لهما متنفسا . وقد ظـل لهذه النظرية أثر كبير في تحليل فلسفة المأساة وكثر شرحها والتعليق عليها طـوال العصور ولم تنقطع هذه الحركة حتى عصرنا هذا .

★★★

يعتبر الكتاب الذي نسب الى لونكينس من نتاج القرن الأول على الأرجح ولا شك في أن مؤلفه من أعاظم رجال

---

(٤) Pity and Fear

النقد والأدب . فقد ناقش العناصر التي تضفي على الكتابة الرفعة والبهاء وراح الى اعطاء تفاصيل وافية وتحليل علمي للعناصر التـي تعصف بالأسلوب وتباعـده عن الجمـال وبالأخطاء التي يقع بها الكاتب عادة .

وكان لونكينس من النقاد الذين أكدوا ما سمى الشعور العميق في الأدب . وقد ذهب الى أن هدف النتاج السامي أن يبعث السرور قبل أن يقصد الاقناع ، فقد تقرأ قطعة أدبية وتجـدك منفعلا مسرورا وان اختلفت واياها فكرة وهدفا .

وكان الناقد الفرنسي الشهير بوالو [٥] أول من ترجم كتاب لونكينس الى اللغـة الفرنسية عـام ١٦٧٤ فصار بمتناول الجمهور وظل أكثر من قرن بعـد ذلك ذا سلطان لا يجارى في عالم النقد وأصبح « السمو »[٦] ـ كما سمي المثال المفضل الذي يحتذى في الكتابة .

لم يعرف عصر النهضـة كتاب لونكينس معرفته كتاب فن الشعر لهوراس[٧] الذي عني عناية فائقة بالمسرحية وحاول أن يلجأ الى تقديم أمثلة تطبيقية ، ولهذا يعتبر فن الشعر ذا قيمة هامة في الأدب التطبيقي . ومما لا شك فيـه أن عصر النهضة مدين لهذا الكتاب الذي اوحى اليه بكثير من

---

(٥) Boileau (٦) Sublime

(٧) Horace : Ars Poetica

النظريات النقدية ومدين أيضا لما كتب شيشرون [٨] وكوتتليان[٩] وغيرهما من شيوخ البلاغة والخطابة الذين عنوا بالنظريات البلاغية القديمة لأن هذا العصر أقبل عليها يدرسها ، ليقف على ما توحيه من أصول نافعة في التعبير الأدبي وأساليبه المختلفة .

***

لم تأت القرون الوسطى بشيء جديد بعالم النقد فظل قصاراها شرح وتفصيل الموروث عن كتاب البلاغة القدامى . وكان القسسة عنصرا هاما في عالم النقد لأنهم هم الذين وضعوا حدا فاصلا بين ما تقبله الكنيسة وما لا تقبله من الأدبين اليوناني واللاتيني . وكان للأدباء مواقف متباينة مع هذا الأدب الموروث معتمدة على أذواق الأفراد أنفسهم فظلوا بين نقاد يقبلون على الأدب متأثرين بالآراء الحرة والانسانية مثل جستين مارتر[١٠] وكلمنت الاسكندري[١١] وبين معادين لهذه الآراء مثل ترتليان[١٢] الذي طلع على الادب بنظريته الشهيرة التي تذهب الى أن « ما لا تحبذ أن تفعله لا يصلح لأن تقرأه أو تسمع عنه شيئا » . ويجب ألا نستهين بهذا الرأي فقد كان له سلطان كبير في القرون

---

(٨) Cicero
(٩) Quintilian
(١٠) Justin Martyr
(١١) Clement of Alexandria
(١٢) Tertullian

الوسطى باعد كثيرا من النتاج الأدبي عن المكتبات .

ولعل أعظم ناقد عرفته القرون الوسطى هو داتي[13] الذي دل كتابه (Du Vulgari Eloquentia) الذي لم يكمل ، على مواهب نادرة ونهج جديد في عـالم النقد . ويضع النقاد هذا الكتاب بجانب امهات كتب النقد التي أحدثت انقلابـا خطيرا أو تحولا في عالم النقد مثل كتاب دوبيلي[14] المسمى دفاع عن اللغة الفرنسية وايضـاح لها[15] وكتاب الشاعر الانكليزي بوب « مقالة في النقد »[16] ومقدمة وردزورث الشهيرة لكتابه « الحكايات المنظومة »[17] عام ١٨٠٠ .

لقد كان لكل من هؤلاء الكتاب العظام أثر يعتبر تحولا في عالم النقد . فشغلوا بمشكلة اللغة والأساليب التي تليق بالشعر وسمو هذه الأساليب . ولكن داتي واجه مشكلة أخرى قد تكون فريدة ، فقد كانت اللغة السائدة آنذاك هي اللاتينية وكان على داتي وغيره من الأدباء أن يتخذوها وساطة تعبيرهم وهذا ما فعلوه زمنا . لكن داتي استطاع أن يخطو خطوة قلما سمعنا بتاريـخ الادب لها مثيلا اذ استعمل اللغة العامية التي عرفتها منطقة تسكانيا من ايطالية

---

(١٣) Dante

(١٤) Du Bellay

(١٥) Defense et Illustration de la Langue Française

(١٦) Pope : An Essay on Criticism

(١٧) Wordsworth : Lyrical Ballads

وصيرها لغة أدبه وفنه ، وهجر اللغة اللاتينية واستطاع أن يهيىء لهذه اللغة أسلوبا ظلت القرون تلهج به وأدبا حسبك أن تعرف أن الكوميديا كتبت به .

ويعتبر دانتي من الأفذاذ الذين يلتزمون النظرية ما دامت صائبة عندهم ، حتى اذا وقفوا على غيرها وبان صلاحها هجروا الأولى الى الجديدة . فلقد هجر بعض نظرياته التي جاءت بكتابه Il Convivi وجاء بنظريات جديـدة تخالفها بكتابه الكوميديا الالهية(١٨) وراح الـى تحليـل كثير من المشكلات التي وقع عليها وهو ينظم شعره ، فكـان أول شاعر عرفه النقد الأدبي يركن الى تحليل مشكلات النظم وبهذا استحق ما قيل عنه : مبدع النقد الحديث وان عاش قبل عصر النهضة كما عرفتها أوربا .

كان لعصر النهضة أصول نقدية بسيطة جدا مؤداها « ان كل ما فعل القدامى صائب وكل طريقة أخرى لم يعرفوها خاطئة وأنت تستطيع أن تنتج أدبا رصينا اذا نهجت القواعد والأصول التي عرفهااليونانيون واللاتينيون واذا لـم تلذ بنهجهم فأنت خاطي لا محالة » .

لقد ذهب أعلام الأدب وشيوخه الى هذه الآراء وآمنوا بها ، وظلت محورا ركز عليه بعض أعلام النقد في انكلترة أمثـال : سدني وبن جونسون وملتن جل أصولهم التي

---

(١٨) Divine Comedy

اقتفوها .

وذهب بعض النقدة الى أن لغة القدامى وحدها هي التي تصلح لانتاج الأدب الكامل الذي يستحق التأمل ويرجى له الخلود وهذا ما ذهب اليه فيد[١٩] بكتابه الشعر الذي نظم باللغة اللاتينية عام ١٥٢٧ وهو ــ ولا شك ــ أول كتاب هام في عصر النهضة . وقــد ظل هذا الرأي حول اللغــة القديمة وعصمتها سائدا حتى بعــد قبــول اللغات المحلية واتخاذها وساطة للنظم ، وظل نهج النقد أن يقيم ما كتب بهذه اللغات أو اللهجات ليكشف عما استطاع الكاتب أن يحققه من أصــول وقواعد وضعها القدامى ومدى توفيقه بتطبيقها .

لا شك في أن ايطالية ظلت مصدر النقد الأدبي في عصر النهضة ، فقد أفاد كبــار النقاد في أوربا مــن أعلام النقد الايطالي طــوال القرن السادس عشر وتهيأ لبعض هؤلاء النقــاد أن يبزوا شيوخهم الايطاليين الذيــن تأثروا بهم . فكتاب دي بالي الفرنسي الذي مر ذكره يعتبر فاتحــة في عالم النقد وان ركز جل أصوله على ما أفاد من الايطاليين .

وقــد ظهر في أسبانيا أوائل القرن السابع عشر (عــام ١٦٠٩) كتاب أسلم الى تحول في النقد الأدبي ألفه الناقد لوب دي فيكا [٢٠] وأطلق عليه اسم «فن جديد بكتابة الملهاة

---

(١٩) Vida, Poetica

(٢٠) Lope de Vega

في العصر الحاضر »[٢١] .

فهذا الكتاب يمثل انقلابا بالفن المسرحي خاصة لأنه طلع بآراء حديثة جريئة ، ويجب ألا يدور ببالنا أن لوب لم يعرف القواعد اليونانية ، فقد ذكر المؤرخون أنه درس أرسطو وشيوخ النقد ولكنه لم ير في نهج هؤلاء ما يواكب رغبة الجماهير فذهب الى « أن الجماهير تريد ما لا يرضى عنه أرسطو وغيره وان النظارة يدفعون أجرا ليدخلوا الى المسرح ويجب أن نرعى ذوقهم ونعمل على تحقيق ما يرغبون فيه » . ولا شك أن اندفاعه نحو تحقيق هذا الذي ترغب فيه الجماهير باعدة عن التقيد بالقواعد المألوفة بكل ما كتب ولا سيما الملاهي وهي تزيد على (٤٥٠) ملهاة .

* * *

لم يكن النقد الأدبي ذا طابع ظاهر في الأدب الانكليزي ولم يتهيأ له النضج والذيوع قبل فيليب سدني . فكتاب رجارد دي بوري المسمى فيلو بيبلون[٢٢] (١٥٤٣) لا يمثل كتاب نقد وانما هو بحث طريف ناجح في الكتب والولع بها وما يخص هذا الميدان .

وقد دللت المقدمات والشروح التي كتبها الناشر الانكليزي كاكستن[٢٣] ــ الذي يعتبر رائد حركة النشر ــ

---

(٢١) Arte Nuevo de Hacer Comedias en Este Tiempo (1609)

(٢٢) Richard de Bury : Philobiblon

(٢٣) Caxton

على أنه قارىء ذكي يستوعب ما يقرأ مفصلا ، ويبدو أن كاكستن راح الى تطبيق مبدأ التزمه وهو أن يكتب دراسة لكل كتاب يعمل على نشره يذكر فيها أسباب نشره واختياره مع بعض الملاحظات والآراء في الكتاب نفسه . وقد اعتبرت هذه المقدمات فاتحة في تاريخ النقد الانكليزي.

ان ما فعله كاكستن اندفاع ذاتي لتسجيل انطباعاته وآرائه ولم يكن متأثرا بمدرسة النقد الايطالية أو غيرها ولم يعرف الأدب الانكليزي من يضارعه أو يدانيه بفكرته وعمله . ومن المؤسف حقا أن النقد لم يتهيأ له التقدم بعده . فقد ظل الانسانيون (Humanists) طوال القرن السادس عشر يتلهون بمناظرات جدلية أو مسائل تعليمية ولم يلتفتوا للأدب كثيرا . وقد نشرت كتب قليلة دارت على أصول « البلاغة » وبعض نظرياتها ولكنها لم تكن ذات أهمية أو فائدة كبيرة .

ان كتاب سدني «دفاع عن الشعر» [٢٤] الذي ظهر أواخر القرن السادس عشر أدبي محض ويعتبر فريدا بين نتاج هذا العصر لما فيه من لمحات نقدية والتفاتات تدل على براعة كاتبها وعمق تفكيره . ومما يؤخذ على الكتب التي ظهرت خلال القرن السادس عشر وخاصة في القوة

(٢٤) An Apology for Poetry

الاليزابيثية ١٥٥٨ ــ ١٦٠٣ أنها تجاهلت الأدب المعـاصر والكتب المعاصرة فلم نسمع عـن هذا ما يضيف الى كيان النقد شيئا ، ولولا ما جـاء به بن جونسون أواخر القرن لصح أن يقال أن النقد ظل أقفر طوال القرن كله .

لقد استطاع بن جونسون بكتابه اكتشافات[٢٥] أن يعقد قواعد الكلاسية ويضع كيانها ، وهو أول من التفت الى الأدب المعاصر وعركه ، مطبقا كثيرا من نظرياته وآرائه . وقـد تعددت جوانب (بن جونسون) في المعرفة والنبوغ حتى غدا من الصعب أن نفرده بفن من فنون الأدب . فهو روائي ناقد شاعر لا يجارى ، وقد ظل طوال القرن السابع عشر مرتاد الأدبا والنقاد . وكان أثره كبيرا في أواخر القرن السابع عشر ولا سيما عند ظهور المدرسة الكلاسية الجديدة التي غذاها أيضا نيقولا بوالو الناقد الفرنسي بكتابه (فن الشعر) .

***

لا مراء في أن الناقد الانكليزي درايدن[٢٦] أضفى على النقد الأدبي ما صيره حقا ــ كما أجمع النقاد ــ رائد النقد الأدبي الانكليزي .

لقد جمع درايدن أطراف الثقافـة الفرنسية الى ثقافته الأنكلوسكسونية واطلع على آراء نقـاد فرنسا وبحوثهم

---

(٢٥) Discoveries

(٢٦) Dryden

ولكنه لم يتأثر بالتيار الذي انحدر معه النقد الفرنسي ولم يخضع للنظريات التي سادت في فرنسا .

واذ كان بوالو الناقد الفرنسي الكبير قد أزرى بكثير من الأدب الفرنسي الموروث ولم يجد فيه خيرا فان درايدن وقف من الأدب الانكليزي وقفة مناقضة .. فيها اعجاب به واكبار له ، فعكف على ما كتب بن جونسون وشكسبير والاليزابيثيون يدرسه .. ورأى أن هؤلاء قد خلفوا تراثا فيه طوابع خاصة تميزهم عن الفرنسيين وخاصة تراثهم المسرحي . فاندفع يستخرج المثل والشواهد من هذا الأدب ليفيد منها بما كتب ولتكون مدار شواهده في نظرياته وآرائه .

ولعل مقدمات درايدن وبحوثه التي افتتح بها رواياته من أجود ما عرف النقد الأدبي ، فقد كان له من اللباقة وحسن البيان وبراعة الأسلوب ما صيره علما ذا مكانة لا تجارى وحاول أن يطبق نظرياته النقدية بنتاجه الفني . ولذلك يعتبر هذا النتاج « الأدب التطبيقي » لنظرياته . ومن ميزات درايدن الفذة أنه لم يكن عنودا قابعا بعالمه لا يريد أن يطل على غيره ، فقد عرف عنه أنه اذا ما رأى رأيا أو نظرية أقبل عنها العصر وغدت بالية عافها ، واذا أدرك أنه أخطأ برأي مال عنه . وهذاما صير بعض كتاباته غير منسجمة أحيانا ، وبعضها تبدو متناقضة أحيانا .

الإنطباعيّة [1]

الانطباعية مدرسة مـن مدارس الرسم ظهرت بباريس عام ١٨٦٣ عند ما رفضت جماعـة الحكام (Salon Jury) الصور الزيتية التي تقدم بها ادوارد ماني (Edward Manet) وأصحابه لأنها ــ كما كـان الاجماع ــ غير خليقـة بأن يضمها معرض حافل . ولكـن الامبراطور نابليون الثالث الذي عرف بتسامحه وعدم تعصبه طلب أن ينصف موني وصحبه ويعرض نتاجهم . وكـان لهم هذا فعلا ، غير أن صورهم عرضت بقاعـة خاصة أطلق عليها (قاعـة النتاج المرفوض)[2] . وكان من أهم الصور التي استرعت الانتباه لوحـة للرسام كلود موني عنوانها : انطبـاع . ومن هنا جـاءت التسميـة للأسلوب التصويري الجديـد وسمي الرسامون الذين اقتفوا نهج موني الانطباعيين .

لقد قوبلت هـذه المدرسة ــ التي ضمت أعلاما تهيأت لهـم بعدئذ شهرة عالميـة ــ بالسخرية وندد بها النقـاد وضحكوا منها أكثر مـن ثلاثين عاما . ومن أشهر أعلامها

---

(١) Impressionism

(٢) Salon des Refusés

الذيـن ذاقـوا التبعـة (بول سيزان ١٨٣٩ ـ ١٩٠٦) و (رنوار ١٨٤٠ ـ ١٩١٩) والرائـدان موني وماني . وظلت لوحاتهم التي لا تثمن اليوم موضع تندر واستهزاء فترة طويلـة ، ولكن هؤلاء الأعلام ساروا قدما يحدوهم العزم الصادق دون خور أو خوف من نقد النقدة وزرايتهم وظلت هذه الحركة سائرة بخطى ثابتة حتى تهيأت لها مكانة بين مدارس التصوير ولا سيما بعد نجاح المعرض الكبير الذي أقيم بمدينة باريس عـام ١٩٠٠ . فكأن هذا المعرض أفاق العـالم مـن رقدة ، فأقبل الناس على نتـاج أعلام الانطباعية وفتنهم هذا النتاج بجماله وصدقه ، وظل شأن هذه الحركة يتسامى حتى غدت مكانتها لا تجارى في عالم الفن اليوم .

ان عماد هذه المدرسة الانطباع الذي يتركه الموضوع والألوان ومدى اتفاقها وتفاعلها ، وللانطباعيين آراء طريفة في الألوان والضوء وأشعة الشمس ..

فهم يرون أن ليس في الطبيعة لون قاتم بنفسه ، فتلوين الأشياء وهم ليس غير .. والمصدر الوحيـد الذي يبدع الألوان هو شعاع الشمس الذي يحتضن كل شيء ، وقد عود بصرنا عـلى التفريق بـين شيئين في الطبيعـة اللون والهيئة . ان اللون يوحي بالهيئة . ووضع الشيء بأوضاع متعددة يضفي عليه ألوانا مختلفة ، واذا ما اختفى الضوء

فان الهيئة واللون يتلاشيان . ولكل موجود لون ، وتدرك هيئـــة الموجودات بتحسس الألوان المختلفة التي تقــابل العين . ويمكـــن أن تصور فكرة المسافـــة وفكرة الحجم بألوان غامقة أو فاتحـــة ، وهذا ما يسمى في فن التصوير (الاحساس بالقيم) . والقيم هي الوسائل الوحيدة التي يمكن بواسطتها أن يعبر عن العمق على سطح منبسط أو بكلمة أخرى على الورق .

وبما أن اللون اشعاع من الضوء فان كل الألوان ــ وفق هذا الرأي ــ تتألف من العناصر نفسها التـــي يتكون منها شعـــاع الشمس ، أي الاطيـــاف السبعة ، وهذه الأطياف تبدو مختلفة بالنسبة لسرعة موجات الضوء المتباينة وتبعا لقوة الضوء ومداه .

وعلى الفنـــان أن يتوسل بالألوان السبعة التي تكون الطيف ويترك الألوان الأخرى . وهذا ما فعله الفنان موني دون وجل وأضاف الى هـــذه الالوان لونـــين : الأبيض والأسود .

فالفنان ــ كما يرى الانطباعيون ــ لا يفزع الى خليط من الألوان انما يفيد من الألوان السبعة فقط ويترك أشعة كل لون تتصل بغيرها على مسافة ما ، وبهذا يكون أثرها كأثر شعاع الشمس نفسه في عين الناظر .

ان الضوء ــ عنـــد الانطباعي ــ موضـــوع الصورة

الوحيد ويعتمد الفن اعتمادا كبيرا على حدة العين ومهارتها ومدى تمييزها الاندماج بين الألوان أو ما يسمى الهارمونيا. وبهذا يتميز الفن الانطباعي عن الفن التعبيري[٣] الذي ينهج تصميما وأسلوبا معلومين وهما يكونان هدف الفنان المباشر ومن هنا كانت الانطباعية موفقة توفيقا لا يجارى في فن تصوير الطبيعة ومناظرها وما يخصها .

ان الانطباعية حركة ثارت على الكلاسية والرومنسية معا ودفعت بالموضوعات التقليدية ومنوالها جانبا . ولقد كان لها دعاة في الأدب عرفوا بالاسم نفسه ، وبشروا بأصولها ، أي بالدعوة الى تصوير الأشياء كما تخلف انطباعها في الذهن في وقت ملاحظتها والعيش معها دون الايغال بتفاصيل أو الانسياب مع وحي منها . ولذلك كان الأدب الانطباعي يغلب عليه القصر لأن مهمة الكاتب أن يصور لنا انطباعه المباشر عن الموضوع وأن يعتمد على التفاصيل الرئيسة التي لا مناص منها لتصوير الانطباع تصويرا سليما دقيقا .

---

(٣) Expressionism

المذهب الواقعي[1]

المذهب الواقعي في الفن والأدب يناقض المذهب المثالي ويؤكد على ملازمة الطبيعة ومطابقتها ، وعلى التعبير عن الأشياء كما تبدو في التجربة ، مغايرا المثالية التـــي تعنى بالتأكيد على الناحية التصويرية التي لا تتقيد بواقع الشيء وكما يبدو بالتجربة .

ان هذين الطريقين : الواقعي والمثالي لا يمكن أن يتباعدا كليا وان اختلفا ابتداء ، فقد يطغي أحدهما على أدب الكاتب ولكن يجب أن يكون لكليهما نصيب من التعبير اذا أريد له أن يكون فنيا .

فالأديب الواقعـــي لا يستطيع أن يتحلل كليا من المثالية لأنه يجنح لها وهو يختار هذه الصفة أو تلك ويؤثرها على غيرها ، أو هذا الحدث أو ذاك ويجنح لها وهو يبـــاعد عن موضوعه بعض التفاصيل التي هي من واقعه ويلتزم الصفات الكبرى أو الكلية .

والأديب المثالي الذي يفتش عن أشياء خفية ويحاول أن ينتزع منها مادته يجب أن يلتزم في تخيله القوانين والأصول

---

(١) Realism

المعروفة في الواقع والا كان تخيله عبثا .

ونحن نصف أدب الأديب بأنـه واقعي أو مثالي اذا ما طغت عليه هذه الفلسفة أو تلك وطبعت أدبه بطابعها ، وهذا لا يعني أن الأدب الواقعي خلو مـن بعض صفات المذاهب الأخرى ، وهناك وسائل يتفاوت بها الأدب ويتميز بالواقعية أو المثالية ، فالواقعـي ــ وهو ينتخب موضوعه ــ يلتزم شيئا موجودا في الواقـع أو تجربة مـن تجاربه الحقيقية ، ويميل المثالي في انتخاب موضوعاته الى أشياء قد لا يكون لها وجود ، أو الى جوانب خيالية مما هو موجود لينساب معها وليضفي عليها رواء وبهجة .

وانتخاب الموضوع يتصل به طريقـة التعبير والتصوير . فالمذهب الواقعي يهدف الى مطابقة الطبيعة أكثر من المذهب المثالي ــ وهو ــ على هـذا ــ يؤكد الى درجة كبيرة على كمال التفاصيل ودقتها . ولكن يجب ألا يغرب عن بالنا أن هناك اختلافا في التفاصيل التي تنتقي وفي درجة التأكيد عليها.

وبما أن هدف المذهب الواقعي أن يسبغ عـلى مادته أو موضوعه صورة حقيقية فانـه يؤكد على التفاصيل التـي تخدم هذا المبدأ حسب ، ويحاول المذهب المثالي أن يؤكد مباشرة على الصفات العامة غير المحدودة ويغض النظر عن كثير من التفاصيل التـي تخص الشيء وتكوينه المباشر أو وضعه الراهن .

لقد تطور المذهب الواقعي وغدا حركة أدبيــة ظاهرة في أوربا بعد ثورة عام ١٨٣٠ الفرنسية وظل يحتل المكانة العليا بعالم الأدب من عام ١٨٥٠ الى ١٨٨٠ . وكان يرفض ما ذهب اليه الكلاسيون من اعتماد كلي على النماذج الفنية القديمة وما ذهب اليه الرومنسيون من ذاتية أو فردية متطرفة .

وهيأ هــذا المذهب للفن نحوا معلــوما ينــاقض النحو المعروف الفن للفــن (L'Art pour l'art) وصــار المذهب الواقعي يدعو الى دراسة الطبقات الدنيا والوسطى وانسانها، واستيحاء حياته وفضائله ومساوئه والعناية بكل مظهر قبح أم حسن وسواء رضينا عنــه أم سخطنا عليه . فنجد كتابا ينحون هــذا النحو ببعض ما كتبوا مثــل بلزاك وجارلس دكنس اللذين يعتبران من أعلام مرحلة الانتقال الى المذهب الواقعي.ومما لا شك فيه أن التيار الفلسفي أنذاك قد عاون على قيام هذا الأدب الواقعي وتطوره ،فقد ظهر كتاب أوغست كمت[٢] الشهير «طريق الفلسفة الموضوعية» [٣] عام ١٨٣٠ وذهب الى أن التوافق والتلاؤم مع حقائق معلومة حسب هو المقياس الوحيد للحقيقة ، ونبه أيضا الى أصول ترتكز على أسس علمية وعني بعلم الاجتماع ووضعه في المرتبة الأولى

(٢) Comte

(٣) Cours de Philosophie Positive) يقع في ستة اجزاء ظهر الجزء الاول عام ١٨٣٠ والاخير عام ١٨٤٢ .

بين العلوم .

ومما لا شك فيه أيضا أن لهجوم فيورباخ[٤] على الدين في دراساته الانثروبولوجية وبعض آرائــه في الانسان وأصله ومصيره ولتقدم العلوم ونجاحها في تفسير كثير من مظاهر الكون الغامضة أثرا كبيرا في جر الأدباء تدريجا الى دراسة العالم الواقعي والتعبير عن تجاربهم به وأثره فيهم .

ولا يمكن أن تنكر ما لاختراع التصوير عــام ١٨٩٠ من أثر في تنمية أسلوب أدبي جديد يرمي الى الوصف الصادق الدقيق الذي لا يبتعد عن الواقع بشيء ولا يزيد عليه .

لقد تشعب المذهب الواقعــي عند ما أقبل القرن التاسع عشر تشعبا صيره صعب الحصر أو التعريف وكثر أعلامــه وكثرت طرائقه ، فكان بلزاك وفلوبرت في فرنسا وتولستوي وترجنيف في روسيا وجورج اليوت وأرنولدبنت وثكارى في انكلترة وكلر وفونتين في ألمانية مــن أقطــاب المذهب الواقعي الذين عنوا بنقد عيوب المجتمع . وقد التزم بعضهم أسلوبا ساخرا وان لم ينحوا نحو الغلو أو يكونوا انهزاميين أو متطرفين .

ومن المؤسف حقا أن المذهب الواقعي الجديــد في أوربا الغربية قــد أصبح انهزاميا ومال الى النقد المتطرف عنــد تحليل المجتمع وكشف عيوبــه وقل النقد البناء الذي ينحو

---

(٤) Feurrbach

نحوا فعالا عمليا .

وأما أوربا الشرقية وروسيا خاصة فقد ظهر فيها ما سمي المذهب الواقعي الاشتراكي (٥) الذي طبق التعاليم الشيوعية ودعا الـى الاصـلاح الاجتماعـي واعتبر الكاتب مهندس الأرواح البشرية كما قال ستالين .

---

(٥) Socialist Realism

الوحدات الثلاث [1]

لعل من أهم القوانـين الكلاسية في كتابـة المسرحية أن يلتزم الكاتب الوحدات الثلاث وهي : وحـدة العمـل ووحدة الزمان ووحدة المكان[2] .

يرى نقاد العصور الوسطى والنقاد الفرنسيون والانكليز في القرنين السادس عشر والسابع عشر أن هذه الأصول مما اشترطه أرسطو بكتابـه الشعر . والحـق أن أرسطو ذكر وحدتين فقط هما وحدة العمل ووحدة الزمان . فقد قال : « ان المأساة تقليد حدث كامل ذي أهمية معلومة » ، وراح بعد هذا الى القـول بأن : « المأساة تعني ما استطاعت بألا تجوز دورة واحدة للشمس وقد تجوز هذا الأمد قليلا » . ولم يتحدث أرسطو شيئا عن وحدة المكان . وقد استنبط النقاد الغربيون الوحدة الثالثة مما يبـدو أن كتاب المآسي اليونانيين والرومانيين فعلوه . أو مـن رغبتهم عـلى وجه الاحتمال في تصيير قواعدهم ثلاثا .

لقد حافظ الروائيون الفرنسيون على الوحدات الثلاث

---

(١) The Three Unities

(٢) Dryden : Essay of Dramatic Poetry 1668

أكثر مما فعل الانكليز لأن الاتجاهــات الرومانتية في الفن الأدبي كانت أقوى من التقاليد الأدبيــة وان وجدنا بعض كبار الشعراء مثل بن جونسون محافظا عــلى هذا الثالوث ببعض رواياته محافظة كاملــة . ولكــن الروائيين الذيــن عاصروه أمثــال شكسبير وجابمان وفورد خرقــوا هــذه الوحدات دون أن يمسهم ناقد .

ومن يتتبع آراء النقــاد في الوحدات يجدهم مختلفين في تفسير معنــاها فلم يستطع بعضهم مثلا أن يقرروا فيما اذا كان معنى وحدة الزمان أن يحصر وقت التمثيل باثنتي عشرة ساعة أو أربعا وعشرين ، وفيما اذا كانت وحدة المكان تعني بقعة واحدة بحجم المسرح أو شارعا واحدا أو مدينة كاملة واحدة .

ومهما يكن مــن شيء فان أشياع الكلاسية الجديــدة Neo-Classicism أواخر القرن السابع عشر كانــوا أكثر تمسكا بالوحدات مــن الاليزابثيين . فنرى درايدن بكتابه محاضرة في الشعر التمثيلي (عام ١٦٦٨) يناقش الوحدات دون تحيز وبروح علمية ، بينما نجد رايمر(٣) يهاجم المآسي الاليزابيثية بكتابــه ــ رأي خاطف في المأساة ــ لأنها لــم تلتفت للوحدات . ونجد الدكتور صموئيل جونسون(٤) بعد

---

(٣) Rymer : Short View of Tragedy 1692

(٤) Preface to Shakespeare 1765

قرن يدافع عن الروائيين الرومانتيين الذيـــن اقتفوا قواعد الطبيعة أكثر مـــن القواعد الفنية التـــي تمسك بها النقاد وفسروها كما أرادوا .

ملودراما[1]

ان لفظة ملودراما مشتقة من كلمة يونانية معناها «اغنية»، وكانت أول أمرها لا تدل الا على المسرحية الجدية التي يتخللها عدد من الأغاني حتى أصبحت من بعض وجوهها تضارع الاوبرا او تعادلها . والملودراما تمت بوشيجة للمأساة مع انها يمكن أن تنتهي نهاية محزنة او نهاية سعيدة .

ولقد تميزت الملودراما عن المأساة بشكل ظاهر واضح في القرن الثامن عشر اذ أخذت تمتليء بالعناصر المثيرة للعواطف وتهمل رسم الشخصيات وتبتعد عن روح المأساة الحقيقية لتعنى بالتأثير في المتفرجين دون اي شيء آخر ، وبهذا أصبح الغناء والاستعراض والحادثة العارضة من الخصائص الغالبة عليها .

اننا نستطيع أن نصف « المهزلة » بأنها تناقض الملهاة الراقية كما نصف الملودراما بأنها احدى الصور المناقضة للمأساة الرفيعة . ولعل من أبرز الفروق بين الملودراما

---

(١) Melodrama لقد آثر الاستاذ أحمد حسن الزيات ان يطلق على هذا المصطلح « المأساة العاميه » ولا نظن الترجمة صائبة لما توحيه كل من لفظتين « المأساة » و « العاميه » .

انظر : في اصول الادب ١٤٠ ص ٢١٢

والمأساة ــ كما يرى النقــاد المسرحيون ــ هو أن الاحزان والفجيعة في المأساة تتأتى من الأعماق بينما لا تبدو كذلك في الملودراما التي يعتمد مؤلفها عــلى وسائل مصطنعة لاثارة الألم في نفوس قرائه ونظارته كأن يبرز وجيعة ابطاله فوق المسرح استدرارا للعطف وشحذا لمشاعر الرحمة بينما يجد حوادث القتل لا تثير من الحزن في نفس المتفرج أو القارىء ما أثارتــه الحوادث نفسها ، فالموضــوع في المأساة يبعث الأشجان ويستثير الفجيعة بينما تبتعثها في الملودراما أحداث دامية سطحية مدسوسة دسا في الرواية ومقحمة على عقدتها اقحاما .

وتتميز الملودراما عــن المأساة الصحيحة الجيدة باظهار الشخصيات في صورة أشد عنفا ، وفي حالــة لا يحتمل ان نجد لها شبيها في الخير أو الشر في الحياة الواقعية ، وتتميز أيضا بافتقــار مؤلفها الــى البصيرة الصادقــة ، وبعقدتها الخيالية غير الطبيعية التــي ربما أثارت ضحكنا بما تشتمل عليه من أهوال واحساسات مفتعلة .

وتعتبر « تيتوس اندرونيكوس » لشكسبير و « يهودي مالطة » لمارلو[٢] من أقدم الملودرامات .

ولا شك بأن الفرق بينهما وبين مآسي شكسبير المعلومة واضح ويشير الى ما تتحلى به المأساة الرفيعة مــن صفات لا تتهيأ للملودراما .

---

(٢) Ch. Marlowe (1564-1593) «The Jew of Malta»

تركيب المأساة

حاول الكثيرون تحديد بنية المسرحية المأساوية والمراحل التي تمر بها من المقدمة الى النهاية . ومن أشهر هذه المحاولات وأدقها ما قام به الناقد الألماني غوستاف فريتاغ من تحديد لمراحل المأساة اذ اعتمد النقاد والباحثون هذا التحديد وأقروه .

ومراحل المأساة عند فريتاغ :

آ ـ المقدمة(1) : ولا تعتبر بداية لحركة المسرحية بل بداية ارتباط المشاهد بمقدماتها .

ب ـ اللحظة الحافزة(2) : وهي المرحلة التي تبدأ فيها أحداث المسرحية بالتحرك .

جـ ـ الفعل المتنامي(3) : وفي هذه المرحلة تبدأ سلسلة الأحداث تتجه نحو نقطة يبدو فيها تحول كبير في مصير شخصيات المسرحية ويضربون لذلك مثلا بتجاوز ماكبث ـ في مسرحية ماكبث لشكسبير ـ لقيمه ومثله

---

(١) Introduction أو Prologos أو Protasis

(٢) Inciting Moment

(٣) Rising Action

من خلال اقدامه على اغتيـال دونكان والتخلص من غريمه بانكو .

د ـ الذروة[٤] : وهي اللحظة التي يبدو فيها ان البطل قد بلغ نقطة تضافرت فيها جميع العوامل لانهياره .

هـ ـ الفعل المنحدر[٥] : وهي المرحلة التي تبدأ فيها الأحداث بالانحدار نحو النهايـة شريطة أن تتجمـع العوامل كافة نحو تلك النهاية ذاتها .

و ـ الكارثة[٦] : وهي النتيجة المحتومة التي أفضت اليها تلك العوامل والملابسات في المسرحية .

والكارثة في الملحمة ينبغي أن تكون قصيرة حاسمة .

---

(٤) Climax

(٥) Falling Action

(٦) Catastrophe

ما قبل الرفائلية[1]

ما قبل الرفائيلية اسم أطلق على جماعة من الفنانين الانكليز حاولوا ـ في ميدان الرسم ـ أن يبحثوا عن طريقة للتعبير الفني مغايرة لمدارس الفن الاكاديمية التقليدية . وبالرغم من أن الحياة الفنية لهذه الجماعة لم تستمر أكثر من عشر سنوات الا ان تأثيرها في بريطانيا بالذات قد امتد الى أكثر من هذه الفترة .

لقد بدأ هذه الحركة وليم هولمان هنت[2] وجون افرت ميليه[3] وداتني غبريال روزيتي[4] وانضم اليهم بعد ذلك الرسام جيمس كولنسون[5] والناقد ف.ج. ستيفنز[6] والنحات توماس ولنار[7] والناقد و.م. روزيتي شقيق داتني غبريال.

لقد ثار هنت وميليه وروزيتي ، عندما كانوا طلبة في مدارس الاكاديمية الملكية ، على الطريقة التي شاعت في الرسم وكانت تعرض في المعارض السنوية للاكاديمية ،

---

(١) Pre-Raphaelism

(٢) William Holman Hunt

(٣) John Everett Millais

(٤) Dante Gabriel Rossetti

(٥) James Collinson

(٦) F. G. Stephens

(٧) Thomas Woolner

فنادوا بالتعبير عن أفكـار أصيلة حية في الفن وبالعـودة المباشرة الى الطبيعـة . وحاولوا النظر الى الأشياء كما لو كانوا يرونها أول مرة .

وأطلقوا تعبير ما قبل الرفائيلية على حركتهم مصادفة ، فجميع بناة هذه الحركة ممن لم يزوروا ايطاليا ولا درسوا طرائـق الرسم الشائعة قبـل رفائيل . ولكنهم تأثروا في دراستهم تأثرا عميقا في محفورات قبة كامبو سانتو في بيزا واعجبوا بالطريقة الايطالية التـي سبقت عصر رفائيل في الرسم فاتبعوها وانتجوا صورا حظيت باقبال كبير .

وفي الميدان الأدبي واجه هذا الأسلوب هجمات عنيفة من النقاد ولكنه حظي بتأييـد الناقد والكاتب البريطاني السير جون راسكن .

ومن أبرز المعبرين عن هذه الحركة في الشعر الانكليزي وليم بتلر ييتس (١٨٦٥ ــ ١٩٣٩)[٨] الذي حاول العودة الى الأناشيد والأغانـي الكلتية القديمـة متبعا في الشعر القواعد التي اتبعها دعاة حركة ما قبل رفائيل في الرسم .

---

(٨) William Butler Yeats

الاغتراب[١]

يتردد هذا المصطلح كثيرا في الآداب الغربية وظل يدور منذ أوائل القرن التاسع عشر ، ويعني التعبير عن حالـــة تهدف الى نقلة روحية أو هجرة نفسية مــن الواقع الذي يحيـــاه الشاعر أو الكاتب الى آفـــاق أخرى يتخذها بيئة يستلهمها أو موطنا يستوحيه .

عرفت هذه الحالة عند كتاب الغرب منذ أن بدأت أوروبا مع طلائــع الثورة الصناعية والحروب النابليونية تعانــي الاضطراب الذي بدأ يزلزل النفوس ويقلقها ، فصار الكتاب ــ هربا من واقعهم ــ يتشوقون الى عوالم الشرق بسحره وايحائـــه ، فراحـــوا يقرأون كتب الرحلات الـــى الشرق وأقاصيص الف ليلة وليلة التي كان قد ترجمها الى الفرنسية اول مرة المستشرق الفرنسي انطوان غالان[٢] فأشاعت أجواء الشرق وعبيره في كتابات الشعراء والكتاب .

ومن أبرز من عانوا هذه الحالة النفسية الشاعر الالماني الكبير غوته[٣] الذي نظم ديوانا كاملا عنوانه « الديوان

---

(١) Estrangement

(٢) Antoine Galland

(٣) ــ W. Gothe الترجمة للاستاذ عبد الرحمن صدقي عـــن كتاب « الشرق والاسلام في أدب غوته » .

الشرقي للمؤلف الغربي » استوحاه من دراسته للشعر العربي ولا سيما المعلقات السبع وديوان حافظ شيراز ــ الشاعر الصوفي الفارسي الكبير ــ . وقد عبر عن هذه الحالة في قصيدته « الهجرة » التي يقول فيها :

« الشمال والغرب والجنوب ، أقطارها تتناثر بددا ، وعروشها وممالكها تنهار فهاجر وامض الى الشرق الطهور تستروح الطيب من الآباء الأوائل الطيبين » .

ويعتبر الشاعر الانكليزي الكبير لوردبايرون(٤) من أكبر الشعراء الذين عانوا هذه الحالة النفسية ، وقد تجول كثيرا وكتب عددا من الآثار الشعرية التي تتضمن هذا الضرب من الحنين الى الشرق .

وفي الأدب الغربي المعاصر أمثلة كثيرة على الاحساس بالاغتراب ، ولعل من أوضحها تجربة بيار لوتي الشاعر الفرنسي الذي أقام ردحا من الزمن في الشرق وقضى فترة في مدينة اسطنبول ، وقد ارتدى الملابس التركية العثمانية ثم كتب بعد ذلك كتابه الشهير « رحلة الى الشرق » .

هناك قسطنطين كفافي(٥) الشاعر اليوناني المتوفي عام ١٩٣٣ ، الذي هجر بلاده وأقام في الاسكندرية سنين عديدة حيث نظم أجمل قصائده التي ترجمت الى معظم اللغات

---

(٤) Lord Byron 1788-1824 (٥) K. Cavafi

الأوروبية .

وفي الأدب الانكليزي قصائد عديـــدة فيها هذا الحنين الى الاغتراب من أشهرها قصيدة والتر دي لامير[٦] والتي عنوانها « بلاد العرب » .

---

(٦) W. De La Mare

المسرحة [1]

المسرحة فن اعادة ترتيب أحداث القصة وتنظيمها وتحويرها لتواكب المسرح ويسهل تمثيلها ، وهذا الفن ليس بجديد لأنه كان معروفا في عالم التمثيل ويرجع الى العهد الذي عرفت فيه المسرحية المحدثة .

ان أقدم الأمثلة التي نعرفها عن المسرحات ممثلة في القرون الوسطى وذلك باقتباس قصص من الانجيل ، وكان عرف هذه المسرحات في غاية البساطة ، فالقسسة لبسوا دور الممثلين كما لعب المصلون دور النظار ، ولم تتحلل المسرحية الانكليزية من السلطان الديني كليا الا في عصر النهضة ، وبهذا تهيأ للمسرح أن يتطور ويتقدم .

لقد بني أول مسرح في بريطانيا عام ١٥٧٦ وغدت حياة اللهو هناك أكثر تهذيبا ، وأصاب المسرحة شيء من الانكماش لكنها لم تمت كليا ، وظلت على حالتها من الركود حتى القرن الثامن عشر فأصابت شيئا من النجاح

---

(١) آثرنا أن نتبنى هذا المصطلح الذي استعمله الأستاذ دريني خشبة للفظة Dramatization أو Adaptation انظر كتاب « تشريح المسرحية » ـ تأليف مارجوري بولتون وترجمة خشبة .

وتهيأ لها قبول في المسرح وعاشت حتى اليوم .

لقد كانت رواية « باميلا »[2] لصاموئيل ريجاردسون أول سلسلة ناجحة من المسرحات حظيت بشأن كبير وغدت حديث الناس ، وكان نجاحها باعثا على مسرحة عدد كبير من الروايات الحقـيرة ، ولكن هذا لـم يدم طويـلا لأن المسرحة صارت تفقـد مكانتها حتى غدت أوائـل القرن التاسع عشر مـن الصور التـي لا تلقى قبولا مشجعا ، ويبدو ان النهضة الثقافية التـي عرفها « عهد فكتورية » وشيوع الكتب وتيسيرها أعـاد للمسرحة مكانة ساميـة عرفت مجدها وعزها في نتاج كاتبين عظيمين هما سكوت[3] ودكنز[4] .

ان عناية « سكوت » بالتاريخ وتناوله بطريقته النفسانيـة الحية صيرت رواياته سهلـة التحوير والترتيب لتكـون مسرحات عظيمة فتن بها أبناء عصره لا في انكلترا وحدها بل في المانية وفرنسا والولايات المتحدة .

وتهيأ لجارلس دكنز أيضا أن يحتل في عـالم المسرحة مكانة خاصة وأن تحور رواياته وتنظم لتكون مسرحات ناجحة بالرغم مما هو معروف عنه من شغف بتعدد الابطال

---

(٢) Pamela لمؤلفها Samuel Richardson

(٣) Scott

(٤) Dickens

والاشخاص في رواياته وخلق الأجواء المعقدة والأوضاع الصعبة والحالات التي لا يقوى على ادائها سوى الموهوبين المبدعين .

ولقد كانت المسرحات التــي انتزعت مــن تتاج سكت ودكنز باعثة على مسرحة عدد كبير من روايات بعض الذين عاصروها ، مثــل اللورد لايتن[٥] وشارلوت برونتي[٦] وجارلس ريد[٧] وكان لهذا كله اثر في المسرحة حتى لكاد يقضي عليهــا ويطفيء أثرها لولا ما تهيأ للأدب عامة مــن كتاب مسرحيين وقصصيين تبوأوا مكانة فذة وظلوا قمما شامخة لا تدان أمثال شيكوف[٨]وأبسن[٩] وبرناردشو[١٠] وهنري آرثر جونز[١١] الذين كانوا رواد نهضة في الأدب المسرحي وطرق الافراج والتعبير التي مهدت للمسرح الذي قام على أصول المذهب الرمزي والمذهب التعبيري .

ان المسرحة الحديثة لم تلتزم بما عرفته المسرحية مــن أصــول وأجــواء ولا شك بأن ما يتطلبــه الاختصــار والاقتضاب عند تحوير المسرحية وتعديلها واعادة تنظيمها لتكــون مسرحة ظل من العوامل التــي أدت الى انفراد

---

(٥) Lord Lytton
(٦) Charlotte Bronte
(٧) Charles Reade
(٨) Chekhov
(٩) Ibsen
(١٠) Bernard Shaw
(١١) Henry Arthur Jones

المسرحة الحديثة بخصائص مميزة ، وكان للراديو والتلفزيون أثرهما أيضا في خلق أجواء خاصة أضافت خصائص جديدة للمسرحة ، ان الذين يعدون مسرحة للراديو مثلا مقيدون بجملة قيو لا يعرفها الذين يعدون مسرحات للتلفزيون ، فأولئك مقيدون بحدود وقت معلومة ويخاطبون جمهورا يسمعهم ولا يراهم أو يرونه ، وهؤلاء يقفون أمام الجماهير ويحاولون أن يتصيدوا من المسرحية أو القصة المعقدة المفصلة أجزاء تكمنهم من التأثير في المشاهدين مع سلامة الانسجام والتعبير وخلق الأجواء التي تواكب ما يبتغون .

ولا شك في أن المسرحة قد دخلتطورا جديدا وصار لها شأن عجيب منذ عرفنا وسائل الاعلام الحديثة وشاع التلفزيون خاصة .

الرقعة الأرجوانية[1]

من الشائع في الأدب الانكليزي ان يعمد المؤلف وخاصة في الأدب القصصي الى موضع ما من مواضع قصته يعتقده ملائما فيباشر قطعة ـ تطول وتقصر حسب وضعه النفسي ـ يبالغ بتنميقها وتقليبها والعناية بها عناية خاصة ، فيحكم عباراتها ويسبغ على أسلوبها ما يصيره رائعا مؤثرا ، وبذلك يحسب قارىء القصة أن المؤلف استطاع أن يرتفع بهذا الموضع كثيرا وان يضفي عليه ما يبديه أرفع من بقية القصة أسلوبا وتعبيرا وتأثيرا فيغدو بمثابة رقعة بهية في رداء كثرت ألوانه وتقاربت درجة ورواء ، وقد عرف هذا الوضع بالرقعة الأرجوانية .

---

(١) Purple patch

البالاد[1]

« البالاد » هو صورة من صور الشعر ، ممثل أفضل تمثيل في الأدب الفرنسي ، يسمح بشيء من التغيير ضمن حدود معينة ، وهو ذو أشكال كثيرة .

ويتألف أساسا من ثلاثة مقاطع ولازمة[2] حيث تكون الأبيات الأخيرة لكل مقطع مشابهة للبيت الاخير من اللازمة.

وتبنى القصيدة كلها على ثلاث قواف او أربع ، يختلط فيها التذكير والتأنيث ، ويردد القسم الثاني من المقطع في اللازمة .

ان القواعد التي نظمت قصائد البالاد قد ظهرت وتطورت مع (كيوم دي ماشو) (١٣٠٠ ـ ١٣٧٧) وتهيأ لهذه القواعد أن يثبتها جان مولينيه[3] في كتابه « فن البلاغة وعلمها »[4] الذي ظهر عام ١٤٩٣ حيث ذكر أيضا أن طول القطعة يعتمد بعدد مقاطع[5] اللازمة، فلازمة بثمانية مقاطع مثلا تتطلب قطعة بثمانية أبيات .

---

(١) Ballade

(٢) Envoy

(٣) Jean Molinet

(٤) Art et Science de Rhétorique

(٥) Syllabes

وقد تلغى اللازمة أحيانا في الفرنسية والانكليزية (كما هو عند شارل دورليان وفيلون وشوسر وغيرهم) وقد تتراوح في الطول بين ٤ و ٧ أبيات .

يرجع أصل « البالاد » الى غناء الرقص[٦] من ايطالية ، وقد تطور ووصل أشكاله الرفيعة في فرنسا خلال القرنين الرابع عشر والخامس عشر ، وازدهر كثيرا أيام شارل الخامس . ويعد فرنسوا فيلون[٧] من أشهر الذين حذقوا هذا اللون الشعري .

ان البالاد لم يحظ باستحسان ظاهر الا في اللغة الانكليزية ، فقد كتب الشعراء الانكليز طائفة منه في القرنين الخامس عشر والسادس عشر مراعين الأصول ومن هؤلاء الشعراء تشوسر[٨] وجون جوير[٩] وجون ليجيت[١٠] ولقد انحسر البالاد بعد القرن السادس عشر ولم يعد يحفل به الشعراء الانكليز حتى أواخر القرن التاسع عشر عندما أدخله من جديد اندرو لانغ[١١] واوستن دوبسون[١٢] وسوينبرن[١٣] وروزيتي[١٤] وادموند غوس[١٥] وهنلي[١٦]

---

(٦) Canzone di ballo
(٧) François Villon
(٨) Chaucer
(٩) John Gower
(١٠) John Lydgate
(١١) Andrew Lang
(١٢) Austin Dobson
(١٣) Swinburne
(١٤) Rossetti
(١٥) Edmund Gosse
(١٦) Henly

ويبدو ان الولايات المتحدة عنيت بالبالاد والتزمته اكثر مـــن انكلترة ، ولعل من أبرز الذيـــن ولعوا به أوسكار ادامس[١٧] وبراندر ماثيوس[١٨] وكلينتون سكولارد[١٩] .

ويعتبر (جسترتون) من أكثر الذين استعملوا البالاد في القرن العشرين .

---

(١٧) Oscar Adams

(١٨) Brander Mathews

(١٩) Clinton Scollard

برلسك[1]

تطلق لفظة برلسك على نوع من التسلية المسرحية التي تتخذ محورها الاضحاك والسخرية من المسرحية الشائعة أو العادات والتقاليد أو الأزياء أو الموضوعات الجدية أو الشخصيات التـي تحتل مكانة بـين الناس وغدت مدار حديثهم ، فترى الابطال فيها يصورون بـزي الهزْأة[2] والآلهة بأوضاع أحقر الناس .

انهـا تمثـل ببعض صورها نوعا مـن أقدم أنـواع « المسرحيـة » ، وهنـاك بعض مـا يبرر الادعـاء بان « ارستوفان » ـ الروائي اليوناني الساخر ـ استعمـل هـذا اللون المسرحي في اكثر مـن ملهاة ، ولقـد كانت « الفاصلة المسرحية » Interlude التي شاعت بروايات القرن السادس عشر صورة من برلسك .

ولا شك بأن برلسك قد تهيأ لها أن تظهر ببزة جديـدة بروايات جورج فيلير[3] المعروفة التي تدور على الاستهزاء

---

(١) Burlesque

(٢) الهُزْأة : الرجل الذي يُهزأ منه
الهُزَأة : الرجل يهزأ بالناس

(٣) Geofge Villiers

بممثلي العصر والدراميين . ولقد كانت روايات برلسك التي كتبها فيلدنك[٤] قبل منتصف القرن الثامن عشر من أعنف صور الهجاء والسخرية التي عرفها زمانه حتى ضاق بها رئيس الوزراء البريطاني السير روبرت والبول[٥] وسخط على فيلدنك سخطا كبيرا ، وكان للقوانين التي شرعت ضد برلسك أثر في ابتعادها عن لهجة السخرية اللاذعة الجارحة وميلها الى التقليد والمداعبة المعتدلة .

لقد عرف القرن التاسع عشر صورة أخرى من صور برلسك تعتمد على الموسيقى وتنتزع موضوعها من كل ميدان وكل لون أدبي سواء كان قصة أو حكاية أو أوبرا أو غير ذلك ، واستطاعت بهذا أن تشيع شيوعا طغى على ألوان المسرحية وظلت تحتل تلك المكانة حتى ظهرت « الملهاة الموسيقية »[٦] .

ولا بد أن ننبه الى حقيقة تختلط أحيانا في أذهان بعض الذين يعنون بالألوان الأدبية وهي انهم قد يعتبرون « التمثيلية الايمائية »[٧] من صور برلسك .

ان التمثيلية الايمائية لا تعتمد على السخرية والاستهزاء بل على قلب الأوضاع والمواقف والأحوال رأسا على عقب وهذا غير ما تنهجه برلسك .

---

(٤) Fielding
(٥) Sir Robert Walpole
(٦) Musical Comedy
(٧) Pantomine

لقـــد انحسرت صورة برلسك وصــارت تستعمــل بالاستعراضات[٨] دون غيرها باستثناء ما تعنـــي به بعض النوادى او الصالات الخاصة .

ويجـدر أن تتذكر ان لبرلسك في الولايات المتحـدة الامريكية مفهوما يغاير المفهوم الذي عرفه الانكليز ، فهي تعني ـ في تلك القـارة ـ سلوى مسرحية تقـوم عـلى الموسيقى وتأثير الأضواء ، وتتخذ مـن الجنس واللباس الذي ترتديه الممثلة بهيآت وأوضاع مثيرة محورا ومدارا ، وهذا السفاف بعيد عن برلسك وصورها في انكلترا .

ولا بد أن نشير الى لون موسيقي وتمثيلي يضارع ـ من بعض وجوهه ـ برلسك وهو ما يسمى Extravaganza الذي يصعب حقا أن نفرده بصور خاصة كليا .

ولعل من أهم الفروق بين اللونين كون Extravaganza تعتمد على النزعة الهزلية الهادئـة ولا تسرف في السخرية كثـيرا ، وتعنى بأشخاص أسطوريين أكثر مـن عنايتهـا بأشخاص حقيقيين .

***

وهناك أيضا الفودفيل[٩] ، وهي في المصطلح الأميركي مسرحية خفيفة مليئـة بالرقصات والأغاني ، وهي بهـذا

---

(٨) Revues

(٩) Vaudeville

تختلف عن مفهــوم الفودفيل كما عرفتــه فرنسا وخصته بالمسرحية التهريجية البسيطة التي تمتاز بالاغاني الهجائية اللاذعة وتمثيل شخصيات معروفة على نحو مضحك . وقد نقلت هــذه الصورة الى بريطانيــا لتدل عــلى المسرحية التهريجية المضحكة التي يتخللها بعض الأغاني .

البرليتا [1]

لقد عرفت البرليتا في الأدب الانكليزي خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر وهي مسرحية هزلية قصيرة تتخللها الموسيقى وبعض الأغاني . ومن أبرز مسرحيات البرليتا في بريطانيا هي « توم وجيري »[2] و « الحياة في لندن » وقد قدمت على مسرح ادلفي في عامي ١٨٢١ و ١٨٢٢ .

---

(١) Burletta

(٢) Tom and Jerry

كاثارسيس[1] أو نظرية التطهير

حد المأساة كما قرر أرسطو « انها تقليــد لعمل جدي كامل بنفسه له شيء من الخطر والأهمية ، في كلام ممتع يتفق مع أهمية كل جزء من المأساة في صيغــة مسرحية لا قصصية ، وتستطيع بما اشتملت عليه من الرحمة والخوف أن تحدث كاثارسيس لهاتين العاطفتين »[2] .

ولقد أحدثت لفظة « كاثارسيس » هــذه ضجة شغلت النقد الأدبي وتاريخ الأدب قرونا طويلة ، واختلفت الآراء بتفسيرها وشرح معنــاها ومقراها الذي أراده أرسطو ، وكان بين الأوائل الذين قلبوها جدل لا طائل من ذكره .

لا شك بأن أرسطو الذي عني بالمأساة عناية فائقة قد عوّل على وظيفتها كثيرا ورأى أن قوام هذه الوظيفة ان تحدث كاثارسيس لدى المشاهد أو القارىء ، وكــان مرد التناحر والتناقض الذي شغل العصور حول هذه الكلمة

---

(١) Katharsis

(٢) عــن كتاب « قواعد النقد الأدبي » لابركرومبي وترجمة الدكتور محمد عوض محمد .

أن أرسطو نفسه لـم يشرح مدلولها أو يحدد مـا قصده تحديدا واضحا .

فالكلمة تعني « تطهيرا »[3] ، وهي فـي أحد معانيها اصطلاح طبي يعني « التليين أو أخذ دواء مسهل » ، وقد استعملها أرسطو استعمـالا مجازيا كما هو واضح مـن سياقه ، فيكون معناها « التطهير » اذا اشرنا الى ضرب من الطقوس الدينية ، وقد يكون معناها الابعاد أو الطرد[4] أي طرد الفضلات من الجسم اذا كانت الاشارة الى نظرية من نظريات الطب التي عرفها اليونان ومؤداها ان كل جسم يجوز استخراج ما به من مادة غريبة بأن يعطي مادة تشابهها بمقادير خاصة ، ولعل هذا ما أراده أرسطو ، فان المأساة تحدث استبعادا وطردا لكل من شعور الخوف والرأفة ، وذلك ان تعطي المصاب هاتين العاطفتين ، وكـان المرغوب فيه أن تستبعد اما لأن في وجودهما حذرا أو لاحتمـال الافراط في كل منهما .

لقد ذهب الأستاذ ف.ل. لوكاس[5] في كتابه الشهير عن « المأساة » الى أن أرسطو قد استعمل لفظة «كاثارسيس» ليشير الى « التفريج » أو تخليص أنفسنا من ألوان الكبت.

ولعل من أقدم الذين حاولوا أن يفسروا وظيفة المأساة

---

(٣) Purification (٤) Purgation

(٥) Lucas

وقصد أرسطو مـن لفظة كاثارسيس هو روبرتلي[٦] في أوائل عهـد النهضة (١٥٤٨) ، اذ ذهب الى أن أرسطو كان يقصد أننا بمشاهدة المأساة تتعود على الأمور المرعبة ، وهذا ما يساعدنا على السير في طريق الحياة المليء بالشوك.

وذهب لسنك[٧] الى أننا نفتقر الى الاتزان في الحياة وان هناك في طبائعنا كثيرا جدا مـن الرأفة والخوف أو قليلا جدا منهما ، وأن أرسطو كان يؤمن بأن تمثيل الأمور المفجعة كفيل بأن يزود أذهـان النظار بقدر من التوسط والاعتدال .

---

(٦) Robertelli (٧) Lessing

مَسْرحيّة الفصل الواحِد

ان مسرحية الفصل الواحد تستغرق بين ربع الساعة الى ما يقرب من الساعة عادة ، ويكون مدارها مركزا تركيزا كبيرا . لقد شاع هذا اللون المسرحي في القرن التاسع عشر في ارلندة خاصة وظهرت منه جملة مسرحيات تهيأ لها براعة عجيبة واعتبرت من الروائع مثل رواية الكاتب الارلندي الشهير (سنك)[1] المعروفة : الراكبــون الى البحر[2] ، ورواية : باوند تحت الطلب[3] للكاتب الارلندي (سين اوكاسي)[4]، ورواية بزوغ القمر[5] لليدي كريكوري[6] .

ولعل من أهم خصائص هذه المسرحية انها تدور حول موضوع واحد أو حادثة واحدة معينة سواء كانت مثيرة للحزن أو للضحك ، وتتدرج العقدة حدة حتى تبلغ ذروتها ثم تنتهي الى حل ما آلا .

---

(١) E. J. M. Synge — (٢) Riders to the Sea

(٣) A pound on Demand — (٤) Sean O'Casey

(٥) The Rising of the Moon — (٦) Lady Augusta Gregory

المونولوج المسرحي [1]

ان المونولوج المسرحي لون من ألوان الشعر الاخباري الذي يقص قصة ويلقيه الممثل بصوت مرتفع ويكون اما وحده على المسرح أو مـع جماعة آخرين يظلون صامتين عندما ينطلق بالانشاد .

لقد كان المونولوج يستهدف الاستهزاء بالذين يتناولهم واضحاك الجمهور عليهم ، ويبدو أن شأنه قد اضمحل بعد عام ١٦٠٠ وتهيأ له أن يعيد مكانته بعد « عهد الاصلاح » ويأخذ طابعا مغايرا لطابعه المألوف اذ ارتكز على التهويل ولكنه صار يختفي تدريجيا وتتوارى أهميته حتى القرن التاسع عشر .

ولعل من أهم الذين استطاعوا أن يعيدوا المونولوج الى الحياة الشاعر روبرت براوننك في شعره الغزلي خاصة ، وتعتبر قصيدته Andrea del Sarto خير تتاجه في هـذا الميدان ، ويرى النقاد أن تتاجه جاء بوحي زوجته الشاعرة الشهيرة اليزابث بارت[2] التي كانت شبه مقعدة .

---

(١) Dramatic Monologue   (٢) Elizabeth Barrett

وقد عرف المونولوج في الروايات خلال القرن العشرين كما عرف في الشعر ، ويعتبر يوجين أو . نيل من أبرز الذين تناولوه بروايته Strange Interlude.

وكان تي . إس . اليوت من الذين ولعوا به واستعملوه كثيرا كما استطاع جيمس جويس ومارسل بروست أن يرتفعا بالرواية ويمداها بروح عالية باستعمال ما عرف بالمناجاة الذاتية الداخلية[٣] .

ويجب أن نفرق بين المونولوج المسرحي وما يسمى بمناجاة المرء نفسه[٤] أو كما هو المفهوم الشائع لهذا المصطلح في اللغة الانكليزية : « تكلم المرء منفردا »[٥] ويكون خطبة أو حديثا مباشرا يتخلل التمثيلية يعبر به ملقيه عن أفكاره الحقيقية ، وتكشف بهذه المناجاة عن حالات المناجي النفسية سواء ما تشبه مناجيات هاملت وماكبث الرحيمة أو مناجيات اياغو الضارية الغاشمة .

ولا بد أن تتذكر ان المناجاة تعتبر صورة بدائية في التعبير المسرحي وهي ليست شائعة اليوم أو مقبولة دون أن يكتنفها جو يباعدها عن التكلف والتصنع .

ان المناجاة قد تلجأ الى بعض التمويه والتحايل بجعل

---

(٣) Interior Monologue (٤) Soliloquy

(٥) Solus

المتكلم يوجه حديثه مثلا الى احد الحيوانات أو الى صورة من الصور أو أي شيء آخر ، كما نجد هـذا في تمثيلية (اودن واشرود)[٦] المعروفة « الكلب تحت الجلد » التي يوجه فيها « الان » مناجياته الى كلبه .

---

(٦) W. H. Auden شاعر ومسرحي بريطاني وقد اشترك مع الشاعر والكاتب المسرحي أيضا Ch. Isherwood في مسرحية The Dog Beneath the Skin وتشتمل على خمسةعشر منظرا كما أسهم معه بمسرحية On the Frontier ـ على الحدود ـ

الأكلوغ [1]

تعبير مشتق من كلمة يونانية تعني (اختيار) وهي في أساسها قطعة شعرية قصيرة أو مقطوعة من قصيدة طويلة . وقد استخدم هـذا المصطلح للدلالة عـلى الشعر الرعائي الذي نظمه الشاعر اللاتيني فرجيل ، وقد تطور في عصر النهضة فصار يستخـدم للدلالـة علـى الموضوعـات الرعائية بصورة عامة . ومثـال ذلك أن قصيـدة سبنسر « تقويم الرعاة » تعتبر من الأشعار الاكلوغية .

وفي القرن الثامن عشر عندما ظهرت أشعـار اكلوغيـة حديثة أصبح هذا المصطلح يدل على الشكل اكثر مما يدل على المحتوى . ومثال ذلك قصيدة ماكنيس[2] اكلوغ من ايسلندا وقصيدة اودين[3] « عصر القلق » تعتبر من هذا النمط الشعري أيضا .

اما الشعر الجورجي[4] فقد عرف عن طريـق القصائد الريفية التي نظمها الشاعر اللاتيني فرجيل .

---

(١) Eclogue
(٢) McNiece
(٣) Audin
(٤) Georgic

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات
باللغة الانجليزية

(A)

(B)

(C)

الموضوع	الصفحة

* * *

هذا الكتاب

فلقد صغرت الأرض وانكمشت دروبها ، وصارت المدارس الأدبية تشرق وتغرب لا نعرف لها قرارا ولا استقرارا ولقد شرقت اصطلاحات وتعابير أدبية وفدت من الغرب شأنها شأن سيل من الاصطلاحات العلمية والاجتماعية والفلسفية والاقتصادية ، وصرنا نقرأ عن هذه وتتقصى أخبارها وسير أعلامها وتتاجهم الفكري . وتغلغل بعضها بنفوس أدبائنا ، وطبعوا بطابعها وانقسموا طبقات وفرقا تعضد كل منها رأيا أو مدرسة هناك .

واذا كان أدبنا خلوا من (دليل للقراء) أو ما يشبهه ، فانه خلو أيضا من اصطلاحات عربية معروفة تقابل الاصطلاحات الأدبية الأجنبية ، وهذه مشكلة ما قائمة لا في عالم الأدب حسب ، بل في المعارف كلها ال اقبلت علينا من أوربا ،



كتاب جدير بالقراءة

الثمن ٤٠٠ ق.ل.